من فضائل الإسلام

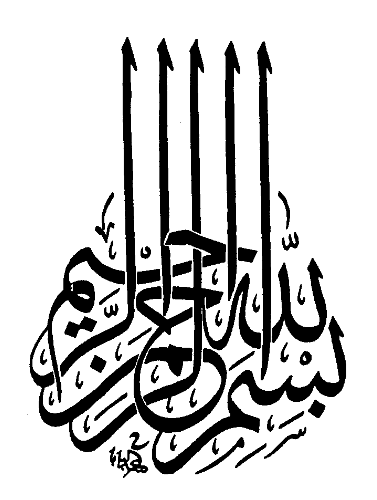
الأُخُوَّةُ وَصِلَةُ الأَرْحَامِ

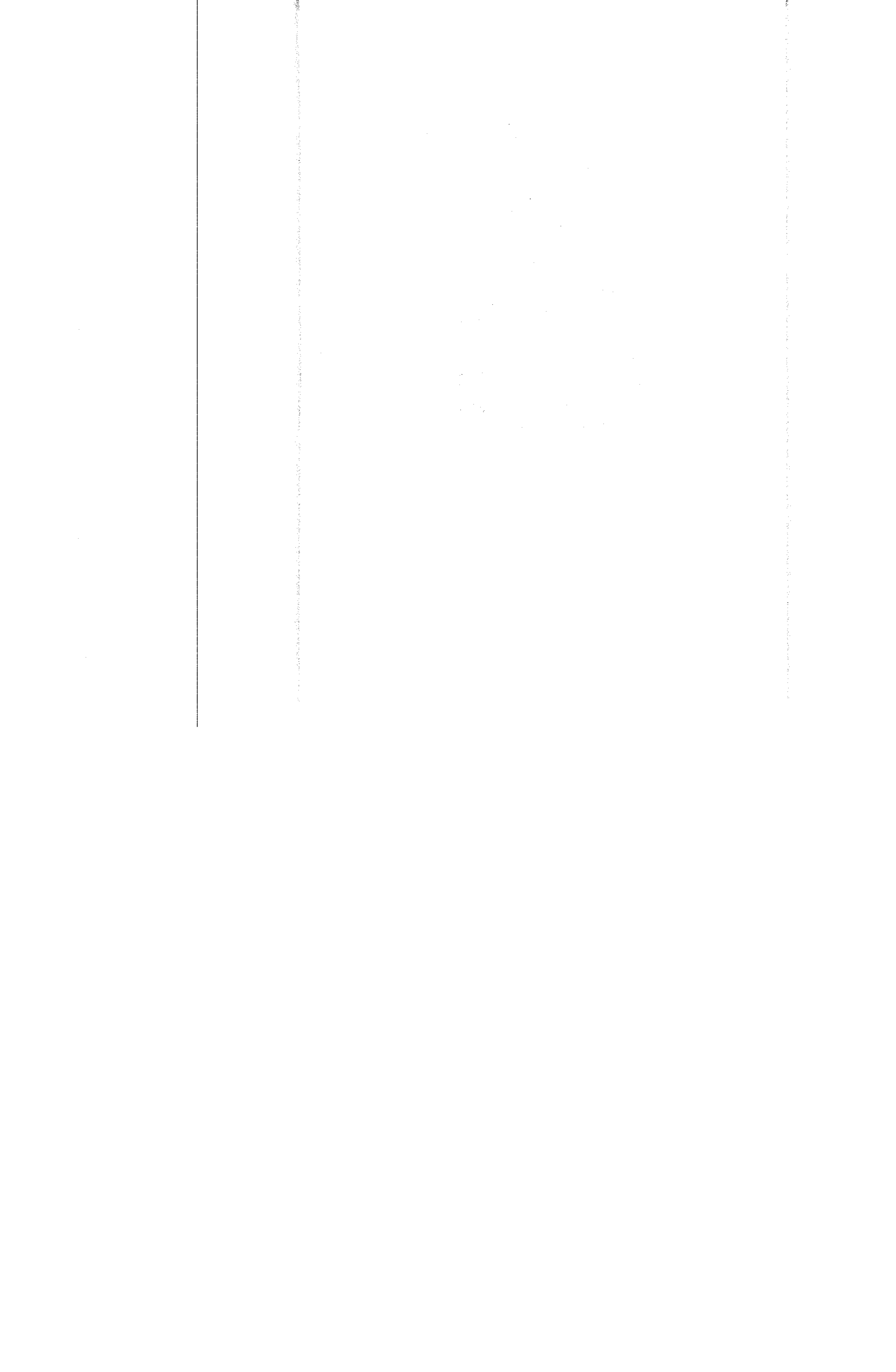
جَمْعُ وَتَأْلِيفُ
هَانِي سَعْد غُنَيْم

الطَّبْعَةُ الأُولَى
٢٠٠٨م -١٤٢٨هـ

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقـــم الإيداع: 13545/2006 في ٢٠ / ٦ / ٢٠٠٦م
الترقيم الدولى: 2 - 3563 - 17 -977


بسم الله الرحمن الرحيم



إهداءٌ

إِلَى الَّذِينَ قَطَعُوا أَرْحَامَهُم، فَقَسَتْ قُلُوبُهُم بَعْدَ بُعْدِهِم عَنْ ذَوِيهِم، فَقَطَعَهُمُ اللهُ كَمَا قَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ، فَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ؛ فَكُلٌّ مِنَّا مَجْزِيٌّ بِعَمَلِهِ: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم٣١] وَشَاهِدِي مِنَ الحَدِيثِ قَوْلُ النَّبِيِّ[1]: «مَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ» وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ؛ بِاللهِ عَلَيْكَ..مَاذَا يَتَبَقَّى لَهُم بَعْدَ قَطْعِ اللهِ لَهُمْ؟!.

وَإِلَى الَّذِينَ وَصَلُوا أَرْحَامَهُمْ فَوَصَلَهُمُ اللهُ، فَكَانُوا أَعْظَمَ النَّاسِ بَرَكَةً وَأَطْوَلَ آجَالاً وَأَحْسَنَ أَعْمَالاً، مُلِئَتْ قُلُوبُهُم بِالرَّحْمَةِ وَاللِّينِ؛ فَاسْتَحَقُّوا رَحْمَةَ رَبِّهِم؛ فَوَعَدَهُمُ الجَنَّةَ دَارَ الأَبْرَارِ وَتَحْرِيمَ أَجْسَادِهِمْ عَلَى النَّارِ، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٦٩٩، ابو داود ١٤٥٥، الترمذى ١٤٢٥، ابن ماجة ٢٢٥.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ[١]: «حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ».

وَإِلَى الَّذِينَ تَحَابُّوا فِي اللهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ أَوْ مَصَالِحَ دُنْيَوِيَّةٍ فَانِيَةٍ؛ فَإِذَا مَا انْتَهَتْ تِلْكَ المصَالِحُ لَمْ يَنْتَهِ مَعَهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَلَمْ تَخْرُجْ مَعَهَا الأَسْرَارُ؛ لِتَفْضَحَ أَصْحَابَهَا! بَلْ بَقِيَ الحُبُّ للهِ! أُبَشِّرُهُم بِقَوْلِهِ ﷺ[٢]: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا؛ مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ[٣] الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟! قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ؛ لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ، وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

---

(١) (صحيح): احمد ٣٩٢٨، الترمذى ٢٤٨٨، صحيح الجامع ٣١٣٥.

(٢) (صحيح): ابو داود ٣٥٢٧، صحيح سنن ابى داود ٢٨٨/٣.

(٣) الغبطة نقيض الحسد، وهي تَمَنِّي دوام نعمة الغير؛ اما الحسد فزوالها.

وَأَخِيرًا... إِلَى القَائِمِينَ عَلَى جَمْعِيَّةِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ الإِسْلَامِيَّةِ بِبَلَدِي بِلقَاس؛ وَالَّذِي أَحْسَبُهُم -وَاللهُ حَسِيبُهُمْ وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا- مِنَ الوَاصِلِينَ أَرْحَامَهُم، النَّاشِرِينَ الخَيْرَ فِيمَا بَيْنَهُم وَحَوْلَهُم، المُنْفِقِينَ بِسَخَاءٍ عَلَى دَعْوَةِ رَبِّهِمْ؛ البَاذِلِينَ الغَالِيَ وَالنَّفِيسَ؛ لِتَأْلِيفِ قُلُوبِ إِخْوَانِهِمْ، فَاللهَ -تَعَالَى- أَسْأَلُ أَنْ يَرْحَمَنَا وَيَرْحَمَهُمْ.

غَدًا تُوَفَّى النُّفُوسُ مَا كَسَبَتْ ... وَيَحْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا

إِذَا أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لأَنْفُسِهِمْ ... وَإِنْ أَسَاءُوا فَبِئْسَ مَا صَنَعُوا

مُقَدِّمَةٌ

بِدَايَةً أَقُولُ: إِنَّ مِمَّا مَيَّزَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِهِ الإِنْسَانَ وَمِنْ عَظِيمِ كَرَمِهِ لَهُ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ أَنْ جَعَلَ لَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان:٥٤] فَيَحْيَا الإِنْسَانُ حَيَاتَهُ فِي عُشِّ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ، فَتَجِدُهُ مَحْفُوفًا بِالعِنَايَةِ وَالرِّعَايَةِ مِنْ أُمٍّ وَأَبٍ وَأَخْوَالٍ وَخَالَاتٍ وَ...؛ فَصِلَةُ الرَّحِمِ تَجْلِبُ مَحَبَّةَ الأَهْلِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ[1]: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُم مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ؛ مَثْرَاةٌ فِي المَالِ؛ مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَازِلَةٌ رَأَيْتَ أَهْلَهُ يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَفْزَعُ إِلَيْهِمْ؛ طَالِبًا الغَوْثَ، فَتَرَاهُمْ يَفْرَحُونَ لِفَرَحِهِ؛ فَتَتَضَاعَفُ فَرْحَتُهُ، وَيَهْتَمُّونَ لِهَمِّهِ، فَيُخَفِّفُونَ عَنْهُ كَثِيرًا؛ وَهَذَا مِنْ حَقِّهِ عَلَيْهِمْ؛

---

(١) (صحيح): البخاري ٥٩٨٥، الترمذي ١٩٨٩.

وَلَكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ مَعِيَ رَجُلاً لَيْسَ لَهُ قَرَابَةٌ! كَيْفَ يَكُونُ حَالُهُ فِي فَرَحِهِ وَحُزْنِهِ؟! إِذًا..سَتَجِدُهُ إِذَا فَرِحَ لاَ يَجِدُ مَنْ يُشَارِكُهُ فَرْحَتَهُ، وَإِذَا أَصَابَهُ أَلَمٌ لاَ يَجِدُ مَنْ يَهْتَمُّ بِهِ وَقْتَ أَلَمِهِ؛ تِلْكُمْ هِيَ صِلَةُ الأَرْحَامِ، وَالَّذِي أَوْصَى بِهَا رَسُولُ اللهِ.. فَصِلَةُ الأَرْحَامِ مِنَ الإِيمَانِ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ [1]: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» وَعَنْ جَامِعِ بنِ أَبِي رَاشِدٍ[2]: سَمِعْتُ مَيْمُونَ بنَ مَهْرَان يَقُولُ: ثَلاثَةٌ تُؤَدَّى إِلَى البَرِّ وَالفَاجِرِ: الأَمَانَةُ وَالعَهْدُ وَصِلَةُ الرَّحِمِ.. وَلِي رَجَاءٌ لَدَيْكَ؛ أَنْ تَدْعُوَ لِي بِخَيْرٍ؛ فَدَعْوَةُ الأَخِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، فَعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ صَفْوَانَ -وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ- وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ

---

(١) (صحيح): البخاري ٦١٣٨، مسلم ٤٧، الترمذي ١١٨٨.

(٢) سير اعلام النبلاء ٧٤/٥.

قَالَ(١): قَدِمْتُ الشَّامَ فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ، وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ فَقَالَتْ: أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ؛ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»، قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَى السُّوقِ فَلَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ.

وَإِلَى مَادَّةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَلاَ يَسَعُنِي إِلا أَنْ أَدْعُوَ لأَخِي وَصَدِيقِي الصَّدُوقِ/ عِمَاد حَسَن؛ وَأَنْ يَنْفَعَنِي بِهَذِهِ الكَلِمَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَيَنْتَفِعَ بِهَا كُلُّ مَنْ يَقْرَؤُهَا، وَيَتَقَبَّلَهَا مِنِّي بِقَبُولٍ حَسَنٍ؛ وَيَرْزُقَنَا -جَمِيعًا- الإِخْلاَصَ قَوْلاً وَعَمَلاً..

الفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ القَدِيرِ

هَانِي سَعد غُنَيْم

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٧٣٣، ابن ماجة ٢٨٥٩، أحمد ٢١٢٠٠.

أَثَرُ الإِسْلاَمِ فِي أُخُوَّةِ العَرَبِ وَتَرَاحُمِهِمْ

إِنَّ أَعْظَمَ مَا يَجْمَعُ المسْلِمِينَ عَلَى المسْتَوَى الخَاصِّ وَالعَامِّ فِي كُلِّ مَكَانٍ الأُخُوَّةُ فِي اللهِ؛ تِلْكُمُ النِّعْمَةُ العَظِيمَةُ الَّتِي أَتَى بِهَا الإِسْلاَمُ، وَحَثَّ عَلَيْهَا سَيِّدُ الأَنَامِ، وَرَغَّبَ فِيهَا الرَّحِيمُ الرَّحْمَنُ؛ فَكَرَّمَهَا بِذِكْرِهَا فِي القُرْآنِ، فَوَحَّدَ -بِسَبَبِهَا- بَيْنَ القَاصِي وَالدَّانِي وَالغَرِيبِ وَالقَرِيبِ وَبَيْنَ العَرَبِيِّ وَغَيْرِ العَرَبِيِّ، فَصَارُوا جَمِيعًا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ.

لَقَدْ كَانَ العَرَبُ فِي الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى شَذَرَ مَذَرَ؛ أَيْ: مُتَفَرِّقِينَ، لاَ يَجْمَعُهُم جَامِعٌ، وَلاَ تَرْبِطُهُمْ عَاطِفَةٌ، وَلَيْسَ بَيْنَهم قَاسِمٌ مُشْتَرَكٌ؛ يُؤَلِّفُ بَيْنَ قُلُوبِهِم، ذَهَبُوا مَذَاهِبَ شَتَّى، عَبَدُوا آلِهَةً مُتَعَدِّدَةً؛ وَلَمْ يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا؛ فَتَفَرَّقَتْ قُلُوبُهُم وَأَهْوَاؤُهُم، فَالقَوِيُّ -عِنْدَهُم- هُوَ السَّيِّدُ المكَرَّمُ، وَالضَّعِيفُ -لَدَيْهِم- ذَلِيلٌ مُهَانٌ لاَ قِيمَةَ لَهُ، إِذَا فَعَلَ فِيهِمُ القَوِيُّ فِعْلاً سَيِّئًا لاَ يُعَاقَبُ عَلَيْهِ وَلاَ يُؤْخَذُ وَلاَ يُؤَاخَذُ، وَالضَّعِيفُ إِذَا فَعَلَ نَفْسَ الفِعْلِ يُعَاقَبُ عَلَيْهِ وَيُؤْخَذُ وَيُؤَاخَذُ، لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مُسَاوَاةٌ،

فَأَتَى رَسُولُ اللهِ فَأَرْسَى هَذَا المَبْدَأَ العَظِيمَ.. المُسَاوَاة، فَقَلَبَ المَوَازِينَ الدُّنْيَوِيَّةَ عِنْدَهُم؛ وَقَرَّبَهُمْ مِنْ رَبِّ البَرِيَّةِ فَصَارُوا عَلَى هَدْيِ سَيِّدِ البَشَرِيَّةِ؛ فَمَلَكُوا زِمَامَ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَهَاكُم هَذَا المَوْقِفَ الَّذِي حَدَثَ فِي العَهْدِ الإِسْلامِيِّ الأَوَّل، عِنْدَمَا سَرَقَتِ المَرْأَةُ المخْزُومِيَّةُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ -وَهِيَ امْرَأَةٌ ذَاتُ حَسَبٍ عَرِيقٍ وَنَسَبٍ شَرِيفٍ- فَتَعَجَّبَ الصَّحَابَةُ؛ هَلْ سَيُقِيمُ رَسُولُ اللهِ الحَدَّ عَلَيْهَا وَهِيَ الشَّرِيفَةُ فِي قَوْمِهَا، وَتُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الضَّعِيفِ المهَان؟! فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟! فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُول اللَّهِ ﷺ ؟! فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[1]: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟! ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ؛ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ

---

(١) (صحيح): البخاري ٣٤٧٥، مسلم ١٦٨٨.

لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»، انْظُرْ إِلَى الحَدِيثِ مَرَّةً ثَانِيَةً؛ لِتَأْخُذَ مِنْهُ دَرْسَيْنِ عَظِيمَيْنِ؛ الأَوَّلُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَصَّلَ تَأْصِيلاً، فَحَكَمَ عَلَى نَفْسِهِ حُكْمَهُ عَلَى غَيْرِهِ؛ فَلَيْسَ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ المُلُوكِ وَالشُّعُوبِ فِي تَطْبِيقِ الحُدُودِ؛ فَلاَ شَفَاعَةَ فِي الحُدُودِ؛ فَلَوْ سَرَقَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُهُ، وَهِيَ مَنْ؟! بِنْتُ النَّبِيِّ وَأَحَبُّ بَنَاتِهِ إِلَيْهِ، وَأَشْبَهُ النَّاسِ بِالنَّبِيِّ، وَقُرَّةُ عَيْنِهِ وَثَمَرَةُ فُؤَادِهِ وَزَوْجُ عَلِيٍّ؛ وَأُمُّ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ؛ فَلَيْسَ هُنَاكَ شَرَفٌ بَعْدَ هَذَا الشَّرَفِ، فَفَاقَتْ فِي نَسَبِهَا وَمَكَانَتِهَا المَرْأَةَ المَخْزُومِيَّةَ، علاوَةً عَلَى ذَلِكَ فَهِيَ أَفْضَلُ نِسَاءِ الجَنَّةِ؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ[1]: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ؛ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَجْمَعِينَ»، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُّ: لَقَطَعْتُ يَدَهَا؛ فَهُوَ القَائِدُ وَالقُدْوَةُ الحَسَنَةُ، وَالمَبْدَأُ الثَّانِي الَّذِي أَرْسَاهُ رَسُولُ اللهِ أَنَّهُ

---

(١) (صحيح): احمد ٢٦٦٣، صحيح الجامع ١١٣٥.

لَيْسَ مِنَ حَقِّ النَّبِيِّ وَكَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ حَقِّ السُّلْطَانِ إِسْقَاطُ الحَدِّ عَنْ أَحَدٍ؛ مَهْمَا كَانَ وَضْعُهُ وَشَأْنُهُ فِي المُجْتَمَعِ، طَالَمَا أَنَّهُ زَنَا أَوْ سَرَقَ أَوْ شَرِبَ خَمْرًا أَوْ....إلخ؛ لِمَاذَا؟! حَتَّى يَطْهُرَ جِسْمُ مُرْتَكِبُ الكَبِيرَةِ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي ارْتَكَبَهُ، وَيَطْهُرَ المُجْتَمَعُ مِنَ هَذِهِ الموبِقَاتِ؛ فَيَصِير المُجْتَمَعُ مِثَالِيًّا نَقِيًّا، وَلَكِنْ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَعْفُوَ النَّبِيُّ فِي أُمُورٍ أُخْرَى؛ تَتَعَلَّقُ بِشَخْصِهِ الكَرِيمِ مِنْ سَبٍّ أَوْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، لِذَا عَفَا رَسُولُ اللهِ عَنْهُمْ يَوْمَ الفَتْحِ المُبَارَكِ؛ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ يَوْمَ أَنْ دَخَلَ المُسْلِمُونَ مُنْتَصِرِينَ فَوَقَفَ سَعْدُ بنُ عبَادَةَ ﷺ وَقَالَ اليَوْمُ يَوْمُ المَلْحَمَةِ، اليَوْمَ تُسْتَحَلُّ الحُرْمَةُ، أَيْ: نَفْعَلُ بِمَنْ نَشَاءُ مَا نَشَاءُ) فقَالَ ﷺ[1]: «بَلِ اليَوْمُ يَوْمُ المَرْحَمَةِ،هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللهُ فِيهِ الكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الكَعْبَةَ» ثُمَّ نَظَرَ إِلَى كُفَّارِ مَكَّةَ فَقَالَ: «مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُم، فَقَالُوا: أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، أَقُولُ لَكُم مَا قَالَهُ أَخِي يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُم، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ» وَأَيْضًا

---

(١) (صحيح): البخاري ٤٢٨٠، وانظر البداية والنهاية فصل/ فتح مكة.

لَيْسَ هُنَاكَ إِقَامَةٌ لِلْحُدُودِ أَثْنَاءَ الحَرْبِ مَعَ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ، وَالمَوْضُوعُ فِيهِ سَعَةٌ فِي كُتُبِ الفِقْهِ..

فَأَحْدَثَ رَسُولُ اللهِ تَغْيِيرًا جِذْرِيًّا فِي المُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ؛ فَصَارَ المُجْتَمَعُ العَرَبِيُّ مُجْتَمَعًا إِسْلَامِيًّا سَوِيًّا مِثَالِيًّا قَوِيًّا، وَثَمَّةَ تَغْيِيرٌ آخَرُ أَحْدَثَهُ النَّبِيُّ؛ لِتَعْلَمَ أَنَّ الإِنْسَانَ فِي الإِسْلَامِ بِعَظِيمِ إِيمَانِهِ وَصَالِحِ عَمَلِهِ وَتَقْوَى قَلْبِهِ، وَلَيْسَ المُسْلِمُ مِنَّا عِنْدَ اللهِ بِطُولِهِ وَعرْضِهِ وَفَاخِرِ ثَوْبِهِ، فَعَنْ سَهْلٍ قَالَ مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ[1]: **«مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟! قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟! قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»** وَلَقَدْ قَضَى رَسُولُ اللهِ عَلَى النَّعْرَةِ القَبَلِيَّةِ وَالعَصَبِيَّاتِ البَغِيضَةِ وَالافْتِخَارِ بِالآبَاءِ وَأَعْمَالِهِمْ، فَلَا تَنْشَغِلُوا

---

(١) (صحيح): البخاري ٥٠٩١، ابن ماجة ٤١٢٠.

بِالنِّعْمَةِ عَنِ المُنْعِمِ العَظِيمِ؛ لاَ تَنْشَغِلُوا بِالمَالِ الكَثِيرِ أَوِ المَنْصِبِ الكَبِيرِ؛ فَإِنَّ الثَّرَاءَ دَاعِيَةُ الطُّغْيَانِ، وَالاسْتِغْنَاءُ عَنْ رَبِّ الأَنَامِ، فَرُبَّمَا يَنْشَغِلُ الإِنْسَانُ المُنَعَّمُ بِالنِّعْمَةِ عَنِ المُنْعِمِ العَظِيمِ سُبْحَانَهُ، وَكَثِيرٌ مَا هُمْ، انْشَغَلَ وَاسْتَغْنَى بِسَبَبِ مَالِهِ الكَثِيرِ وَسُلْطَانِهِ الكَبِيرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق٦-٧] فَاذْكُرُوا اللهَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُم وَعَلَى آبَائِكُم وَاعْمَلُوا صَالِحًا يَرْضَاهُ لَكُمْ؛ وَيُدْخِلُكُمْ فِي عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:٢٠٠] فَكُلُّ نِعْمَةٍ أَنْتَ فِيهَا مِمَّنْ؟! مِنَ اللهِ، قَالَ اللهُ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل٥٣] فَاسْتَمْتِعُوا بِنِعْمَةِ رَبِّكُم عَلَيْكُم؛ فَمِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَى العَبْدِ -فِي الدُّنْيَا- التَّمَتُّعُ بِالنِّعْمَةِ؛ أَمَّا فِي الآخِرَةِ فَالنِّعْمَةُ الحَقِيقِيَّةُ فَهِيَ التَّمَتُّعُ بِرُؤْيَةِ المُنْعِمِ العَظِيمِ، فَاسْتَخْدِمْ نِعَمَ اللهِ عَلَيْكَ فِي الخَيْرِ؛ وَلاَ تُوَظِّفْهَا فِي مَعَاصِيهِ؛ فَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ؛ لأَنَّ

شُكْرَكَ اللهَ يُسْفِرُ عَنِ الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ فِي كُلِّ مَا تَمْلِكُهُ، وَمَنْ كَفَرَ فَالعَذَابُ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ فِي العَرَبِ؛ فَصَارُوا إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ مُتَآلِفِينَ، فَصَفَتْ قُلُوبُهُمْ، وَاتَّصَلَتْ بِخَالِقِهِمْ، فَمَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِنِعْمَةِ (الأُخُوَّةُ فِي اللهِ) فَبِاللهِ عَلَيْكَ مَنِ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ وَعُمَرَ القُرَشِيِّ وَصُهَيْبٍ الرُّومِيِّ وَبِلاَلٍ الحَبَشِيِّ وَأَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ وَعَمْرٍو الدَّوْسِيِّ؟! وَهُمْ مِنْ أَعْرَاقٍ شَتَّى وَمِنْ بِلاَدٍ مُتَعَدِّدَةٍ؛ إِنَّهُ اللهُ..فَاطْمَأَنَّتْ قُلُوبُهُم فَأَخْرَجَهُم مِنْ شَهَوَاتِهِمْ وَالأَغْلاَلِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِم وَمِنْ عُبُودِيَّتِهِم لِغَيْرِ رَبِّهِم؛ فَعَلِمُوا أَنَّ لَهُمْ رَبًّا يَهْدِيهِم وَيَنْصُرُهُم عَلَى أَعْدَائِهِم؛ وَنَبِيًّا يَأْخُذُ بِأَيْدِيهِم، وَإِخْوَانًا يَخَافُونَ عَلَيْهِم وَيَشُدُّونَ مِنْ أَزْرِهِم وَهُم لَهُم كَالبُنْيَانِ المَرْصُوصِ، وَيُحِبُّونَ لَهُم مَا يُحِبُّونَهُ لأَنْفُسِهِم وَإِنْ شِئْتَ فَقُلْ: يُفَضِّلُونَهُم عَلَى أَنْفُسِهِم فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر٩] وَبَعْدَ ذَلِكَ أَطْلَقَهُم رَسُولُ اللهِ فِي البِلادِ وَالأَمْصَارِ فَذَهَبُوا وَهُمْ يَحْمِلُونَ حُبَّ اللهِ فِي قُلُوبِهِم وَحُبَّ رَسُولِهِ وَحُبَّ هَذَا الدِّينِ العَظِيمِ الَّذِي أَضَاءَ لَهُم حَيَاتَهُم قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر٢٢]

وَلَقَدْ فَتَحُوا بِلادَ الدُّنْيَا بِأَخْلاقِهِم وَمُعَامَلاتِهِم، فَهَا هُوَ الرَّجُلُ العَرَبِيُّ اليَمَنِيُّ المسْلِمُ ابْنُ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ؛ يَسْبِقُهُ خُلُقٌ إِسْلامِيٌّ عَظِيمٌ وَهُوَ التَّاجِرُ الحَاذِقُ اللَّبِيبُ يَذْهَبُ إِلَى بِلادِ آسْيَا؛ لِيَنْشُرَ هَذَا الدِّينَ بِأَمَانَتِهِ فِي تِجَارَتِهِ وَمُعَامَلاتِهِ مَعَ غَيْرِ المسْلِمِينَ، فَيَسْأَلُونَهُ مَنْ أَنْتَ؟! رَجُلٌ عَرَبِيٌّ مُسْلِمٌ مِنْ بِلادِ العَرَبِ، مَنْ رَبُّكَ؟ رَبِّيَ اللهُ، مَا دِينُكَ؟! الإِسْلامُ، مَنْ نَبِيُّكَ؟! مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ؛ مَاذَا يَفْعَلُ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ فِي هَذَا الدِّينِ؟! يَغْتَسِلُ وَيَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا فَخَدَمُوا هَذَا الدِّينَ أَعْظَمَ مِنْ خِدْمَةِ العَرَبِ أَنْفُسِهِم، فَخَرَجَ مِنْهُم أَفْذَاذٌ عَمَالِقَةٌ؛ الإِمَامُ البُخَارِيُّ مِنْ

بُخَارَى، وَالإِمَامُ النَّسَائِيّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيّ، رَحِمَهُمُ اللهُ؛ وَهُمُ الَّذِينَ جَمَعُوا سُنَّةَ النَّبِيِّ الصَّحِيحَةَ وَأَحَادِيثَهُ، وَكَذَلِكَ القَائِدَانِ قُطُزُ وَبِيبَرْسُ اللَّذَانِ قَضَيَا عَلَى شَوْكَةِ التَّتَارِ؛ وَالتَّتَارُ هُمُ الَّذِينَ قَتَلُوا مِلْيُونَيْ مُسْلِمٍ فِي بَغْدَادَ، وَأَلْقَوا جَثَامِينَهُم فِي نَهْرِ دِجْلَةَ ثُمَّ عَبَرُوا عَلَيْهَا بِخُيُولِهِم النَّجِسَةِ عَلَى جُثَثِ المسْلِمِينَ الطَّاهِرَةِ، وَأَحْرَقُوا مُؤَلَّفَاتِ مَكْتَبَةِ بَغْدَادَ أَعْظَمِ مَكْتَبَاتِ الدّنيَا فِي عَهْدِهَا؛ وَمَنَعُوا صَلاَةَ الجَمَاعَةِ فِي المسَاجِدِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا؛ فَتَصَدَّى قُطُزُ وَبِيبَرْسُ لِهَذَا الخَطَرِ الرَّهِيبِ وَقَضَيَا عَلَيْهِمْ إِلَى الأَبَدِ فِي مَعْرَكَةِ عَيْنِ جَالُوتَ، وَلَقَدْ اُسْتُشْهِدَتْ فِي المعْرَكَةِ جُلَّنَارُ زَوْجُ قُطُزَ فَقَالَ عِنْدَمَا رَآهَا تُحْتَضَرُ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهَا: وَاحَبِيبَتَاه، فَقَالَتْ: لَهُ لاَ تَقُلْ: وَاحَبِيبَتَاه؛ وَلَكِنْ قُلْ: وَاإِسْلاَمَاه، فَالحُبُّ فَانٍ؛ وَالأَبْقَى هُوَ الإِسْلاَمُ..

نِعْمَةُ الأُخُوَّةِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣] نَعَمْ.. إِنَّهَا نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ؛ لِذَا نَسَبَهَا اللهُ إِلَى نَفْسِهِ، تَقُولُ مَثَلاً: هَـذَا بَيْـتُ اللهِ أَوْ هَـذَا كِتَـابُ اللهِ؛ فَهَذِهِ الإِضَافَةُ لِلتَّشْرِيفِ وَعُلُوِّ مَنْزِلَةِ الأُخُوَّةِ، إِنَّهَا نِعْمَةٌ لاَ يَقْدِرِ عَلَيْهَا بَشَرٌ وَلاَ حَتَّى سَيِّدُ البَشَرِ؛ لِذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى مُذَكِّرًا نَبِيَّهُ الكَرِيمَ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٣] فَاقْرَأْ الآيَةَ مَرَّةً ثَانِيَةً؛ حَتَّى تُصِيبَ شِغَافَ قَلْبِكَ، وَالخِطَابُ فِيهَا لِلنَّبِيِّ، فَأَنْتَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ تَشْتَرِيَ وَلاَءَ إِنْسَانٍ مَا وَلاَءً ظَاهِرِيًّا بِالمَالِ؛ إِنَّمَا لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَشْتَرِيَ قَلْبَهُ وَوُدَّهُ؛ فَالقُلُوبُ وَهِدَايَةُ القُلُوبِ بِيَـدِ

عَلَّامِ الغُيُوبِ، وَلَيْسَ بِيَدِ أَحَدٍ مِنَ البَشَرِ مَهْمَا بَلَغَ قَدْرُهُ عِنْدَ اللهِ، حَتَّى قَلْب النَّبِيِّ لَيْسَ بِيَدِهِ؛ فَأَنْتَ لاَ تَمْلِكُ قَلْبَكَ -فَقَلْبُكَ لَيْسَ بِيَدِكَ- وَهُوَ أَعْظَمُ مَا فِي جِسْمِكَ، وَلاَ تَمْلِكُ أَنْ تُحِبَّ وَأَنْ تُبْغِضَ؛ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُقْسِمُ فَيَقُولُ[1]: «لا وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ» فما سُمِّيَ القَلْبُ قَلْبًا إلاَّ لأَنَّهُ عَظِيمُ التَّقَلُّبِ؛ فَهُوَ اليَوْمَ يُحِبُّ، وَغَدًا يَكْرَهُ، لِذَا؛ أَكْثِرْ -أَخِي فِي اللهِ- مِنْ دُعَاءِ الرَّسُولِ ﷺ حَيْثُ كَانَ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ[2]:«يَا مُثَبِّتَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ» فَارْتَعَدَتْ أُمُّ سَلَمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ إِنَّ القُلُوبَ تَتَقَلَّبُ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إلا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ» إِذًا تَوْحِيدُ القُلُوبِ عَلَى نِعْمَةِ الأُخُوَّةِ هِدَايَةٌ مِنَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ؛ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى بِأُسْلُوبِ القَصْرِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

---

(١) (صحيح): البخاري ٦٦١٧، ابو داود ٣٢٦٣، الترمذي ١٥٤٠.

(٢) (صحيح): احمد ٢٥٩٨٠، صحيح الجامع ٤٨٠١.

فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠] فَأَتَتِ الآيَةُ؛ لِتَدُلَّ أَنَّ الأُخُوَّةَ مَقْصُورَةٌ عَلَى المؤْمِنِينَ وَهُمْ أَهْلٌ لِذَلِكَ؛ إِنَّهَا أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ، وَلَقَدْ نَطَقَتْ أَحَادِيثُ بِمُقْتَضَى هَذَا المعْنَى؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ[1]: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَأَيْضًا عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ[2]: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ» وَانْظُرْ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى بِالمؤْمِنِينَ فِي آيَةِ القِصَاصِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:١٧٨]

---

(١) (صحيح): البخاري ٢٤٤٢، مسلم ٢٥٨٠.

(٢) (صحيح): البخاري ٤٨١، مسلم ٢٥٨٥، أبو داود ٥١٣١.

وَلَمْ يَقُلْ: (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ قَاتِلِهِ) لِيُذَكِّرَ بِأُخُوَّةِ المؤْمِنِينَ حَتَّى فِي مَعْرِضِ آيَاتِ القِصَاصِ؛ وَالعَفْوُ فِي الآيَةِ: أَنْ تُقْبَلَ الدِّيَةُ فِي القَتْلِ، وَالتَّخْفِيفُ فِي الآيَةِ: أَنَّ شَرِيعَةَ مَنْ كَانُوا قَبْلَنَا كَانَتِ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَلَكِنَّ اللهَ خَفَّفَ بِالدِّيَةِ، فَعَلَى القَاتِلِ أَدَاؤُهَا دُونَ مُمَاطَلَةٍ أَوْ تَأْخِيرٍ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ (سَعِيدُ بنُ المسَيِّبِ وعَطَاءُ وَالحَسَنُ): إِنَّ أَهْلَ المقْتُولِ بِالخِيَارِ؛ إِنْ شَاءُوا اقْتَصُّوا، وَإِنْ شَاءُوا أَخَذُوا الدِّيَةَ[1]؛ لِيَنُوبَ عَنْهُ، وَالأَمْرُ فِيهِ سَعَةٌ[2] فَكَانَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ يَأْخُذُونَ بِالقَتْلِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة:٤٥] أَمَّا أَهْلُ الإِنْجِيلِ فَكَانُوا يَأْخُذُونَ بِالعَفْوِ دُونَ قَوَدٍ أَوْ دِيَةٍ، فَجَمَعَ اللهُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ القِصَاصَ

---

(١) اتَّفَقَ أَئِمَّةُ الفَتْوَى أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ لأَحَدٍ أَنْ يَقْتَصَّ مِنْ أَحَدٍ حَقَّهُ دُونَ السُّلْطَانِ أَوْ مَنْ نَصَبَهُ السُّلْطَانُ.

(٢) راجع تفسير القرطبي الجزء الثاني، سورة البقرة.

وَالعَفْوَ وَخَصَّهُم بِالدِّيَةِ، فَمَنْ شَاءَ قَتَلَ، وَمَنْ شَاءَ عَفَا، فَالقِصَاصُ عَدْلٌ، وَالعَفْوُ إِحْسَانٌ، وَمَنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيَةَ، أَلَيْسَ هَذَا الأَمْرُ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللهِ بِالمؤْمِنِينَ؟! بَلَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب٤٣] والمسْأَلَةُ فِيهَا سَعَةٌ فِي كُتُبِ الفِقْهِ.

الأخوة خير عمل بدأ به النبي ﷺ

عندما دخل رسول الله المدينة المنورة أرسى أسس أهم علاقتين، وهما علاقة المؤمن بربه؛ فبنى المسجد النبوي بالمدينة؛ فأصبح المؤمن موصولاً بربه؛ فالصلاة هي أعظم الصلات على الإطلاق، فإذا انقطعت تلكم الصلة تاه الإنسان وزل وضل وانقطع، أما العلاقة الثانية فهي علاقة المؤمن بأخيه المؤمن؛ فآخى بين المهاجرين والأنصار مؤاخاة لم تعهد البشرية لها مثيلاً، حتى وصلت هذه المؤاخاة إلى أن كلاً من المهاجرين والأنصار كانوا يرثون بعضهم بعضاً، حتى نزلت آية التحريم:

﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال٧٥] فالله عليم بحكمة التحريم، فأولو الأرحام هم الأولى، وأصحاب الأرحام هم الأقارب فهم الذين يجمعهم نسب واحد سواء كان بينهم توارث أم لا، ويدخل فيهم الإخوة والأخوات والأعمام والأخوال وأولادهم ..إلخ، وتتأكد حقوق هؤلاء بتأكد القرابة؛ فحق الإخوة -مثلاً-

مُقَدَّمٌ عَلَى حَقِّ أَبْنَاءِ وَبَنَاتِ العَمِّ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِهَا تَعَالَى فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ فِي القُرْآنِ وَحَثَّ عَلَيْهَا سَيِّدُ الأَنَامِ كَمَا سَنُبَيِّنُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ؛ ثُمَّ عَقَدَ رَسُولُنَا المُعَاهَدَاتِ مَعَ بَنِي يَهُودَ وَالمُشْرِكِينَ لِيَصِيرَ المُجْتَمَعُ آمِنًا مُؤْمِنًا..

وَالأُخُوَّةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَابِقِينَا مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ قَائِمَةٌ دَائِمَةٌ، وَلَيْسَتْ مُنْقَطِعَةً قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر ١٠] فَكُلُّ مُؤْمِنٍ مُوَحِّدٍ سَبَقَنَا عَلَى طَرِيقِ الإِيمَانِ أَخٌ لَنَا، وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ أَهْلٌ لِرَحْمَةِ رَبِّهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة ٧١-٧٢] وَوَعَدَهُمُ اللهُ الجَنَّةَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

جَنَّات تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّات عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة٧١-٧٢] فَاجْعَلْ حُبَّكَ أَخَاكَ للهِ وَأُخُوَّتَكَ فِي اللهِ وَللهِ؛ لِمَاذَا؟ حَتَّى يُكْرِمَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ وَيُظِلَّكَ فِي يَوْمٍ؛ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ[1]: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ الإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ؛ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى؛ حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» وَشَاهِدِي مِنَ الحَدِيثِ الرَّجُلان، بَلْ يُنَادِي عَلَيْكَ رَبُّكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ لِيُظِلَّكَ فِي مَكَانٍ مَأْمُونٍ مِنَ العَذَابِ، يَا لَهَا مِنْ مَكَانَةٍ! فَاسْأَلِ اللهَ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَصْحَابِهَا.

---

(١) (صحيح)؛ البخاري ٦٦٠، مسلم ١٠٣١، الترمذي ٢٣٩١.

حُقُوقُ الأُخُوَّةِ

بَيَّنَ لَنَا رَسُولُ اللهِ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ حُقُوقَ المسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ فَقَالَ:[1] «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ؛ قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» وَإِلَيْكَ بَيَانًا لَهَا:

الحَقُّ الأَوَّلُ: السَّلاَمُ عَلَيْهِ

إِذَا قَابَلَكَ أَخُوكَ فَحَيِّهِ بِتَحِيَّةِ الإِسْلاَمِ، وَهِيَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ؛ لِتَحْصُلَ عَلَى عَشْرِ حَسَنَاتٍ، فَإِذَا الْتَزَمَ أَخُوكَ بِقَوْلِ رَبِّهِ وَحَيَّاكَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦] فَقَدْ حَصَلَ عَلَى ثَلاَثِينَ حَسَنَةً بِرَدِّهِ عَلَيْكَ التَّحِيَّةَ؛ وَهِيَ وَعَلَيْكُمُ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ

---

(١) (صحيح): البخاري ١٢٤٠، مسلم ٢١٦٢، ابو داود ٥٠٣٠، الترمذي ٢٧٣٧.

اللهِ وَبَرَكَاتُهُ[١]، فَعَنْ أَبِي رَجَاءٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ النَّبِيُّ[٢]: عَشْرٌ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: عِشْرُونَ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: ثَلَاثُونَ، فَانْظُرْ إِلَى كَثْرَةِ الحَسَنَاتِ فَانْهَلْ مِنْهَا؛ فَيَوْمَ القِيَامَةِ سَتَشْكُو قِلَّةَ الحَسَنَاتِ؛ وَلاَ تُحَيِّهِ بِقَوْلِكَ: صَبَاحُ الخَيْرِ أَوْ مَسَاءُ الخَيْرِ فَهَذِهِ تَحِيَّةٌ لاَ خَيْرَ فِيهَا، وَلَيْسَتْ تَحِيَّةَ الإِسْلَامِ، فَتَحِيَّةُ الإِسْلَامِ هِيَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الجَنَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٤] وَهِيَ تَحِيَّةُ الملائِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [هود:٦٩] عِنْدَمَا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ المدِينَةَ المنَوَّرَةَ، وَاسْتَقَرَّ

---

(١) لأخينا الشيخ/ عبد الباقي سالم رسالة قيمة في التحية، فاقرأها.

(٢) (صحيح): أبو داود ٥١٥٩، الدارمي ٢٦٤٠، صحيح الألباني ٤/ ٣٥٠.

بِهِ المَقَامُ هُنَاكَ قَالَ هَذَا الحَدِيثَ المَاتِعَ؛ بَلْ إِنْ شِئْتَ فَقُلْ: أَوَّلُ بَيَانٍ إِلَى الدُّنْيَا كُلِّهَا أَطْلَقَهُ فِي سَمْعِ الزَّمَانِ وَبَصَرِهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ[1]: «أَيُّهَا النَّاسُ؛ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» فَأَفْشِ السَّلَامَ وَأَطْلِقْهُ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَخِيكَ الَّذِي قَابَلَكَ فِي الطَّرِيقِ خِلَافٌ، فَلَقَدْ حَذَّرَنَا رَسُولُ اللهِ مِنْ هُجْرَانِ الأَخِ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَقَالَ[2]: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ».

يَا هَاجِرِي فَوْقَ الثَّلَاثِ بِلَا سَبَبٍ ... خَالَفْتَ شَرْعَ المُصْطَفَى أَزْكَى العَرَبِ
هَجْرُ الفَتَى فَوْقَ الثَّلَاثِ مُحَرَّمٌ ... مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ لِمَوْلَانَا سَبَبٌ

مُحَمَّدُ بنُ الحَنَفِيَّةِ أَخُو الحُسَيْنِ لِأَبِيهِ، وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ الحُسَيْنِ شِقَاقٌ وَطَالَ البِعَادُ بَيْنَهُمَا؛ فَكَتَبَ مُحَمَّدُ بنُ الحَنَفِيَّةِ

---

(١) (صحيح): الترمذي ٢٤٨٥، ابن ماجة ١٣٣٤، صحيح الجامع ٧٨٦٥.

(٢) (صحيح): البخاري ٦٠٧٧، مسلم ٢٥٦٠، أبو داود ٤٩١١.

رِسَالَةً إِلَى الحُسَيْنِ قَائِلاً: أَبُوكَ أَبِي، وَأُمُّكَ خَيْرٌ مِنْ أُمِّي، وَجَدُّكَ لَهَا خَيْرُ النَّاسِ وَسَيِّدُهُمْ، وَهُوَ القَائِلُ: وَخَيْرُكُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ، فَعِنْدَمَا وَصَلَتِ الرِّسَالَةُ إِلَى الحُسَيْنِ بَكَى، وَذَهَبَ إِلَى ابنِ الحَنَفِيَّةِ زَائِرًا وَوَاصِلاً فَزَالَتِ القَطِيعَةُ بَيْنَهُمَا؛ فَالحَسَنَاتُ فِي الإِسْلَامِ عَظِيمَةٌ وَغَزِيرَةٌ وَلَكِنْ مَنْ يَغْتَنِمُهَا؟! لِذَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الحَبِيبُ البَحْثُ عَنْهَا وَاغْتِنَامُهَا، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ مَاتِعٍ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ[1]: «لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؛ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَ لا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟! أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ».

الحَقُّ الثَّانِي: إِجَابَةُ دَعْوَتِهِ

إِذَا دَعَاكَ أَخُوكَ فَأَجِبْهُ، حَتَّى لَوْ دَعَاكَ إِلَى شَيْءٍ يَسِيرٍ مُتَوَاضِعٍ؛ فَهَذَا الأَمْرُ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ[2]: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ

---

(١) (صحيح): مسلم ٥٤، ابو داود ٥١٩٣، الترمذي ٢٦٨٨، ابن ماجة ٦٨.

(٢) (صحيح): احمد ٩٢٠١، البخاري ٥١٧٨.

لَقَبِلْتُ[1]»، وَكَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ فِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ[2]: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ؛ لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ[3]» فَإِجَابَةُ دَعْوَتِهِ زِيَادَةٌ فِي حُبِّهِ؛ لِذَا أَتَى الأَمْرُ مِنْ رَسُولِ اللهِ بِالإِجَابَةِ؛ لأَنَّ إِجَابَةَ الدَّعْوَةِ تَأْلِيفٌ لِقَلْبِ أَخِيكَ، وَتَدْعِيمٌ لِلْحُبِّ فِي اللهِ؛ فَهُوَ أَعْظَمُ عُرَى الإِيمَانِ؛ فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ[4]: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ، فَقَالَ: أَيُّ عُرَى الإِسْلامِ أَوْسَطُ، قَالُوا: الصَّلاةُ، قَالَ: حَسَنَةٌ وَمَا هِيَ بِهَا، قَالُوا: الزَّكَاةُ، قَالَ: حَسَنَةٌ وَمَا هِيَ بِهَا، قَالُوا: صِيَامُ رَمَضَانَ، قَالَ: حَسَنٌ وَمَا هُوَ بِهِ، قَالُوا: الْحَجُّ، قَالَ: حَسَنٌ وَمَا هُوَ بِهِ، قَالُوا: الْجِهَادُ، قَالَ: حَسَنٌ وَمَا هُوَ بِهِ، قَالَ: إِنَّ أَوْسَطَ عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ

---

(١) كراع الشاة: ما نُسمّيه نحن بالكوارع.

(٢) (صحيح): البخاري ٢٥٦٦، مسلم ١٠٣٠.

(٣) الفِرْسِن: موضع الحافر، ولم تَجْرِ العادة بإهدائه، ولكنه ذُكِرَ؛ للمبالغة في الشيء اليسير؛ ولإثبات المودة وإذهاب الضغينة؛ فالكثير قد لا يَتَيَسَّرُ.

(٤) (صحيح): احمد ١٨٠٥٣، صحيح الجامع ٣٠٥.

وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ» فَاحْذَرْ صَدِيقَ السُّوءِ؛ لأَنَّهُ يَصْحَبُكَ إِلَى المَهَالِكِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ المُتَّقِينَ﴾ [الزخرف ٦٧] فَهِدَايَةُ أَخِيكَ عَلَى يَدَيْكَ أَفْضَلُ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ مِنْ كُنُوزٍ وَقُصُورٍ..دَخَلَ لِصٌّ عَلَى مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ[1] أَحَدِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ، فَمَا وَجَدَ مَا يَأْخُذُهُ، فَنَادَاهُ مَالِكٌ وَقَالَ لَهُ: لَمْ تَجِدْ شَيْئًا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا؛ أَفَتَرْغَبُ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِ الآخِرَةِ؟! قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَوَضَّأْ وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، فَفَعَلَ ثُمَّ جَلَسَ، وَخَرَجَ بِهِ إِلَى المَسْجِدِ! فَسُئِلَ مَالِكٌ: مَنْ ذَا؟ قَالَ: جَاءَ لِيَسْرِقَنَا فَسَرَقْنَاهُ؛ فَتَابَ وَحَسُنَتْ تَوْبَتُهُ، فَلَوْ رَأَيْتَ أَعْمَى يَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ وَأَمَامَهُ حُفْرَةٌ مِنَ النَّارِ، فَهَلْ تَتْرُكُهُ يَسْقُطُ فِيهَا؟! الإِجَابَةُ: لاَ، إِذًا..فَأَيْنَ مُرُوءَتُكَ؟! فَنَخْوَتُكَ تَأْبَى إِلاَّ أَنْ تَنْصَحَ. وَلاَ يَفُوتُنِي -أَيْضًا- أَنْ أَذْكُرَ أَنَّهُ مِنْ حُقُوقِ الأُخُوَّةِ أَلاَّ تَتَكَلَّفَ

---

(١) راجع (٢٠٠قصة من حياة الصالحين) سعد يوسف.

لأَخِيكَ؛ فَقَدْ قِيلَ: (مَنْ قَلَّتْ كُلْفَتُهُ دَامَتْ أُلْفَتُهُ) وَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص٨٦]

الحَقُّ الثَّالِثُ: النُّصْحُ لَهُ

قَالَ رَسُولُ اللهِ[1]: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» وَهَذَا القَوْلُ الموجَزُ كَقَوْلِهِم مَثَلاً: النَّاسُ بَنُو تَمِيمٍ، أَيْ: إِنَّهُم أَفْضَلُ النَّاسِ، أَوْ أَكْثَرُهُم عَدَدًا، وَالمَالُ الإِبِلُ، أَيْ: أَنَّ الإِبِلَ أَفْضَلُ أَنْوَاعِ المَالِ، وَكَقَوْلِهِ[2]: «الحجُّ عَرَفَةُ» يُرِيدُ: أَنَّ مُعْظَمَ الحجِّ الوُقُوفُ بِعَرَفَةَ؛ وَذَلِكَ لأَنَّهُ إِذَا أَدْرَكَ الحَاجُّ عَرَفَةَ فَقَدْ أَمِنَ فَوَاتَ الحجِّ.

إِنَّ اللهَ خَلَّدَ نَمْلَةً فِي القُرْآنِ؛ لأَنَّهَا نَصَحَتْ قَوْمَهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل١٨]

---

(١) (صحيح): مسلم ٥٥، ابو داود ٤٩٤٤، النسائى ٤١٩٧.

(٢) (صحيح): الترمذي٨٨٩، ابو داود ١٩٤٩، صحيح الجامع ٣١٧٢.

وَإِلَيْكَ هَذِهِ القِصَّةَ؛ لِتَعْلَمَ أَنَّ الصَّدِيقَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يُهْلِكَ صَدِيقَهُ؛ عُقْبَةُ بنُ أَبِي مُعيطٍ .. لَمْ يَتَجَرَّأْ مُشْرِكٌ قط مِثْلَمَا تَجَرَّأَ هَذَا المشْرِكُ عَلَى النَّبِيِّ فَأَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ لَوْلاَ لُطْفُ اللهِ ﷻ ثُمَّ وُجُودُ الصِّدِّيقِ، وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ رَوْثَ الحَيَوَانَاتِ وَهُوَ سَاجِدٌ للهِ العَلِيِّ الكَرِيمِ، هَذَا الرَّجُلُ صَفَا قَلْبُهُ لِلَحَظَاتٍ مَعْدُودَةٍ؛ فَقَرَأَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ القُرْآنَ فَمَسَّ الإِيمَانُ قَلْبَهُ فَأَسْلَمَ أَمَامَ النَّبِيِّ وَنَطَقَ الشَّهَادَةَ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى صَدِيقِهِ وَخَلِيلِهِ أُبَيِّ بنِ خَلَفٍ وَأَخْبَرَهُ الخَبَرَ، فَقَالَ: مِنَ الآنَ اخْتَرْ؛ إِمَّا أَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ وَإِمَّا صَدَاقَتِي وَدِينَ آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا، فَقَالَ: لاَ بَلْ صَدَاقَتُكَ، وَكَفَرَ بِاللهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِي شَأْنِهِ قُرْآنًا[1]، وَوَصَفَهُ اللهُ بِالظَّالِمِ؛ لأَنَّهُ أَشْرَكَ بَعْدَ تَوْحِيدٍ، وَكَفَرَ بَعْدَ إِيمَانٍ، وَصَدَقَ اللهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ

---

(١) قال في الدر المنثور: اخرجه ابن مردويه وابو نعيم في الدلائل بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان٢٧-٢٩] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة٧٢] فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِي شَأْنِ عُقْبَةَ الآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ مِنْ سُورَةِ الفُرْقَانِ، وَفُلَانٌ فِي الآيَةِ هُوَ أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ؛ فَانْظُرْ إِلَى فِعْلِ الصَّدِيقِ فِي صَدِيقِهِ، وَانْظُرْ فِي نَفْسِكَ مَنْ تُصَادِقُ؟! يَقُولُ الرَّسُولُ [(١)]: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ، وَقَالَ مُؤَمَّلٌ: مَنْ يُخَالِلُ» فَلا تُصَاحِبْ إِلاَّ تَقِيًّا مُؤْمِنًا وَاجْعَلْ حُبَّكَ أَخَاكَ -دَائِمًا- للهِ وَبُغْضَكَ إِيَّاهُ للهِ، لِذَا عِنْدَمَا أَقُولُ لَكَ: أَنَا أُحِبُّكَ فِي اللهِ، أَيْ: أُحِبُّكَ؛ لِصِفَاتِكَ وَأَفْعَالِكَ الحَسَنَةِ الَّتِي تُقَرِّبُكَ مِنْ رَبِّكَ، وَكَذَا قَوْلِي لَكَ: أُبْغِضُكَ فِي اللهِ، أَيْ: أُبْغِضُكَ؛ لِصِفَاتِكَ وَأَفْعَالِكَ السَّيِّئَةِ الَّتِي تُبْعِدُكَ عَنْ طَرِيقِ اللهِ.

---

(١) (حسن): احمد ٧٩٦٨، ابو داود ٤٨٣٣، الترمذي ٢٣٧٨.

إذا لم أجد خِلاً تقيّاً فوحدتي ... ألذُّ وأشهى من غَويٍّ أعاشِرُه[1]
وأجلسُ وحدي للعبادةِ آمناً ... أقرُّ لعيني من جليسٍ أحاذِرُه

وَهَا هُوَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ عِنْدَمَا كَانَ يَسِيرُ مَعَ جَارٍ لَهُ لاَ يُصَلِّي، وَأَثْنَاءَ سَيْرِهِ مَعَهُ وَقَعَتْ عُيُونُهُمَا عَلَى جِنَازَةٍ، فَقَالَ الحَسَنُ لِجَارِهِ: أَتُرَى مَاذَا يَتَمَنَّى هَذَا الرَّجُلُ المُتَوَفَّى؟! فَقَالَ: يَتَمَنَّى العَوْدَةَ إِلَى الدُّنْيَا، فَقَالَ الحَسَنُ: أَتُرَى لَوْ عَادَ فَمَاذَا يَفْعَلُ؟! قَالَ: تَرَاهُ أَحْسَنَ النَّاسِ صَلاَةً وَصِيَامًا وَزَكَاةً وَعَمَلاً صَالِحًا، فَقَالَ الحَسَنُ: لِيَكُنْ هُوَ أَنْتَ، فَاصْنَعْ كَمَا قُلْتَ؛ فَفَعَلَ فَتَابَ وَحَسُنَتْ تَوْبَتُهُ.

الحَقُّ الرَّابِعُ: تَشْمِيتُهُ

مُجَرَّدُ أَنْ تَعْطِسَ فَهَذَا الأَمْرُ -وَالَّذِي يَظُنُّهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَمْرًا بَسِيطًا- رَحْمَةٌ بِكَ، فَأَنْتَ -بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْكَ- تَطْرُدُ مَيْكُرُوبَاتٍ مُتَعَدِّدَةً لَوْ ظَلَّتْ بِدَاخِلِكَ لَقَتَلَتْكَ، أَوْ سَبَّبَتْ لَكَ

---

(١) الشافعي: ١٥٠ - ٢٠٤هـ.

آلامًا شَدِيدَةً؛ لِذَا عِنْدَمَا «عَطَسَ رَجُلانِ عِنْدَ النَّبِيِّ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا، وَلَمْ يُشَمِّتْ الآخَرَ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ[1]: هَذَا حَمِدَ اللهَ، وَهَذَا لَمْ يَحْمَدِ اللهِ» فَاحْمَدِ اللهَ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- بَعْدَ عَطْسِكَ، وَعَلَى أَخِيكَ أَنْ يُشَمِّتَكَ، أَيْ: أَنْ يَقُولَ لَكَ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَيَكُون رَدُّكَ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُم، فَاللَّهُمَّ اهْدِنَا وَأَصْلِحْ بَالَنَا؛ فَأَنْتَ مَخْلُوقٌ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ وَرَحْمَةٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِيكَ مَخْلُوقٌ بِحِكْمَةٍ وَلِحِكْمَةٍ؛ بِاللهِ عَلَيْكَ إِنِّي سَائِلُكَ سُؤالاً؛ مَنْ جَعَلَ مَاءَ فَمِكَ عَذْبًا سَائِغًا؟! وَمَنْ جَعَلَ مَاءَ عَيْنِكَ مِلْحًا أُجَاجًا؟! وَمَنْ جَعَلَ مَاءَ أُذُنِكَ حَامِضًا مُرًّا؟! وَمَنْ جَعَلَ مَاءَ أَنْفِكَ مُخَاطًا؟! وَالمَاءُ كُلُّهُ فِي رَأْسٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ مَكَانٌ مَحْدُودٌ، وَكُلُّ مَاءٍ فِيهِ لَهُ مَجْرَاهُ، وَالأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا المَاءَ لاَ يَطْغَى عَلَى ذَاكَ، فَاللهُ ﷻ سَوَّاكَ وَعَدَلَكَ؛ لِذَا لَنْ تَرَى تَقْصِيرًا وَلاَ تَفَاوُتًا: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك:٣]

---

(١) (صحيح) البخاري٦١٠٧، مسلم ١٦٤٧، ابو داود ٣٢٤٧.

الحقُّ الخامس: زيارتُه عند مرضه

وَأُهِيبُ بإخوانِنا أنْ يَحرِصُوا عَلَى زيارةِ إخوانِهِمْ وَأَهْلِيهِمُ المَرْضَى قَدْرَ استطاعتِهم، فَسَيَجِدُونَ عِنْدَهُمْ رَبَّ العَالَمِينَ بفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ؛ حَتَّى لاَ يُعَاتِبَهُمْ رَبُّهُمْ، كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ الطَّوِيلِ وَشَاهِدُنَا فِيهِ قَوْلُ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ[1]: «يَا ابْنَ آدَمَ: مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؛ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ..» انْظُرْ إِلَى مَعِيَّةِ اللهِ عِنْدَ المرِيضِ، بَلْ لَكَ أَيْضًا فَضْلٌ عَظِيمٌ آخَرُ حَيْثُ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ[2]: «إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ المُسْلِمَ مَشَى فِي خِرَافَةِ الجَنَّةِ؛ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ؛ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلَّى

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٥٦٩، أحمد ٨٩٨٩.

(٢) (صحيح): أحمد ٦١٣، البخاري ٥٦١٥، الترمذي ٩٦٩.

عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ؛ حَتَّى يُصْبِحَ» وَعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ[1]: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: جَنَاهَا»[2] وَانْظُرْ إِلَى ثَوَابٍ آخَرَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[3]: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا» فَاحْرِصْ عَلَى زِيَارَةِ إِخْوَانِكَ فِي اللهِ، وَذَكِّرْهُمْ بِثَوَابِ اللهِ.

مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ فِي ثَلَاثَةٍ ... مَنْ كَمُلَتْ فِيهِ فَذَلِكَ الفَتَى
إِعْطَاءُ مَنْ تَحْرِمُهُ وَوَصْلُ مَنْ ... تَقْطَعُهُ وَالعَفْوُ عَمَّنِ اعْتَدَى

الحَقُّ السَّادِسُ: اتِّبَاعُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ

بِدَايَةً سَلْ نَفْسَكَ أَيُّهَا الحَبِيبُ: لِمَاذَا خَرَجْتَ قَاصِدًا الجِنَازَةَ؟! الإِجَابَةُ بِإِيجَازٍ: إِرْضَاءً للهِ؛ وَسَيْرًا عَلَى نَهْجِ رَسُولِ

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٥٦٨، الترمذي ٩٦٧، أحمد ٢١٨٦٨.

(٢) الخرفة بالضم اسم ما يُخترف من النخل حين يُدرك.

(٣) (صحيح): أحمد ٨٣٣١، صحيح الجامع ٦٣٨٧.

اللهِ وَإِعْطَاءَ أَخِيكَ حَقَّهُ عَلَيْكَ؛ ثُمَّ طَلَبًا لِلثَّوَابِ الكَرِيمِ الَّذِي وَعَدَكَ بِهِ نَبِيُّكَ الأَمِينُ، فَمَثَلاً اتِّبَاعُ الجَنَازَةِ، وَالصَّلَاةُ عَلَيْهَا لَهُمَا أَجْرَانِ عَظِيمَانِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ[1]: قَالَ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَى جِنَازَةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنِ انْتَظَرَ حَتَّى يُفْرَغَ مِنْهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ، قَالُوا: وَمَا القِيرَاطَانِ، قَالَ: مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ**» قَالَ الفَارُوقُ عُمَرُ بَعْدَهَا: لَقَدْ فَرَّطْنَا فِي قَرَارِيطَ كَثِيرَةٍ، كُلُّ هَذَا الثَّوَابُ يُحْرَمُ بَعْضُنَا مِنْهُ، إِمَّا جَاهِلاً بِهِ وَإِمَّا عَامِدًا إِلَيْهِ! فَلِمَاذَا لاَ نُحَافِظُ عَلَى تَعَالِيمِ نَبِيِّنَا؟! لَكِنْ مَا أُرِيدُهُ مِنْكَ الآنَ -حَتَّى نَخْرُجَ بِالفَائِدَةِ- أَنْ تَتَعَلَّمَ مَاذَا فَعَلَ النَّبِيُّ فِي الجَنَائِزِ؟! فَقَدْ رَوَى وَاثِلَةُ بنُ الأَسْقَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ [2]: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ عَلَى رَجُلٍ مِنَ المسْلِمِينَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ فُلاَنَ بنَ فُلاَنٍ فِي ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ؛ فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الوَفَاءِ وَالحَمْدِ، اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وارحَمْهُ؛ إِنَّكَ**

---

(١) (صحيح): البخاري ٤٧، مسلم ٩٤٥.

(٢) (صحيح) ابو داود ٣٢٠٢، البخاري ٥٦٤٤.

أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ» وَلَقَدْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه -بَعْدَ وَفَاتِهِ- وَقَدْ شُقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ ثُمَّ قَالَ[1]: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ: لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ المَلائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَارَبَّ العَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ» وَمِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ عِنْدَ إِغْلاقِ القَبْرِ الوُقُوفُ عِنْدَ القَبْرِ وَالدُّعَاءُ بِإِخْلاصٍ لِلْمُتَوَفَّى، فَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ[2]: «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ» قَالَ الطِّيبِي: أَيْ: قُولُوا ثَبَّتَهُ اللَّهُ بِالقَوْلِ الثَّابِتِ، وَاطْلُبُوا لَهُ مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى- أَنْ يُثَبِّتَ لِسَانَهُ

---

(١) (صحيح) مسلم ٩٢٠.

(٢) (صحيح): ابو داود ٣٢٢١، صحيح الجامع ٤٧٦٠.

وَيُوَفِّقَهُ لِجَوَابِ المَلَكَيْنِ[1]؛ فَأَحْيُوا سُنَّةَ نَبِيِّكُمُ الكَرِيمِ، ثُمَّ يَأْتِي دَوْرُ التَّعْزِيَةِ بَعْدَ ذَلِكَ؛ بَعْدَ أَنْ أَدَّيْتَ حَقَّ أَخِيكَ المُتَوَفَّى؛ وَالحَمْدُ للهِ، فَهَذَا دَوْرُ أَهْلِهِ؛ فَالعَزَاءُ: الصَّبْرُ، وَالتَّعْزِيَةُ التَّصْبِيرُ وَالحَمْلُ عَلَى الصَّبْرِ بِذِكْرِ مَا يُخَفِّفُ الحُزْنَ وَيُهَوِّنُ عَلَيْهِ مُصِيبَتَهُ، فَعَنْ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ[2]: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ إِلا كَسَاهُ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- مِنْ حُلَلِ الكَرَامَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ» وَتَكُونُ التَّعْزِيَةُ بِالكَلِمَاتِ الحَسَنَةِ الَّتِي تُخَفِّفُ هَذِهِ المُصِيبَةِ، وَلاَ تُخَالِفُ الشَّرْعَ، وَيَحْضُرُنِي هُنَا مَا حَدَثَ مَعَ الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ عَبْدِاللهِ بنِ العَبَّاسِ رضي الله عنه عِنْدَمَا مَاتَ أَبُوهُ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ رضي الله عنه وَجَاءَ النَّاسُ؛ لِتَعْزِيَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ العَبَّاسِ، قَالَ أَعْرَابِيٌّ مُوَاسِيًا:

اصْبِرْ نَكُنْ بِكَ صَابِرِينَ فَإِنَّمَا ... صَبْرُ الرَّعِيَّةِ عِنْدَ صَبْرِ الرَّاسِ
خَيْرٌ مِنَ العَبَّاسِ صَبْرُكَ بَعْدَهُ ... وَاللهُ خَيْرٌ مِنْكَ لِلعَبَّاسِ

---

(١) كما فى فيض القدير للمناوى.

(٢) (حسن): ابن ماجة١٦٠١، صحيح الجامع ٥٧٥٢.

فَقَالَ ابنُ العَبَّاسِ: لَمْ أَرَ أَحْسَنَ مِنْهُ عَزَاءً قَط، نَعَمْ أَيُّهَا الأَحْبَابُ؛ فَالْمُصَابُ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابَ مِنْ رَبِّ الأَرْبَابِ، لَيْسَ الْمُصَابُ مَنْ فَقَدَ الأَحْبَابَ! فَعَنْ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ[1]: «أَرْسَلَتْ ابنَةُ النَّبِيِّ إِلَيْهِ؛ إِنَّ ابنًا لِي قُبِضَ، فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلامَ وَيَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» فَمَا أَجْمَلَ هَذِهِ الكَلِمَاتِ وَقْتَ وُقُوعِ المصيبَةِ! وَذَكَّرَهُمْ بِمَوْتِ النَّبِيِّ حَيْثُ افْتَقَدَهُ أَصْحَابُهُ وَأُمَّتُهُ؛ فَافْتَقَدُوا مَنْ كَانَ فِي حَيَاتِهِم مِلءَ السَّمْعِ وَالبَصَرِ؛ وَلِذَلِكَ إِذَا أُصِبْتَ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- بِمُصِيبَةٍ فَتَعَزَّى بِفَقْدِ النَّبِيِّ عَلَيْهَا ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ [2]: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةً فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ» نَعَمْ.. فَإِنَّكَ لَنْ تُصَابَ بِفَقْدِ أَعَزَّ مِنْهُ.

(١) (صحيح): البخاري ١٢٤٨، مسلم ٩٢٣، ابو داود ٣١٢٥.

(٢) (صحيح): الدارمي ٨٤، صحيح الجامع ٣٤٧.

مَرَاتِبُ الأُخُوَّةِ

مَرَاتِبُ الأُخُوَّةِ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ؛ لِذَا خَصَّصْتُ لَهَا هَذَا البَابَ؛ لِعَلَّ اللهَ يُؤَلِّفُ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَهِيَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ:

المَرْتَبَةُ الأُولَى: سَلَامَةُ الصَّدْرِ

مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكَ أَنْ يَسْلَمَ قَلْبُكَ مِنَ الحِقْدِ وَالغِلِّ وَالحَسَدِ عَلَى أَخِيكَ المسْلِمِ، فَهَذَا الأَمْرُ يُفْضِي بِكَ إِلَى الجَنَّةِ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ[1]: «**كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ فَقَالَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ؛ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ؛ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسٌ:**

---

(١) (صحيح):أحمد ١٢٢٨٦، راجع السلسلة الضعيفة للألباني ٢٥/١.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلا هَجْرٌ ثَمَّ وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ؛ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ؟! فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ؛ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لا نُطِيقُ»، وَالأُخُوَّةِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الدُّنْيَا مَنَّ اللهُ بِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[الحجرات١٠] كَذَلِكَ هِيَ فِي الجَنَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر٤٧-٤٨] سَلَامَةُ

الصَّدْرِ وَتَقْوَى القَلْبِ تُؤَدِّيَانِ بِكَ إِلَى الجَنَّةِ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَنْزِعَ الغِلَّ وَالحِقْدَ مِنْ قَلْبِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ [الأعراف٤٣] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم٩٦] وُدًّا أَيْ: يُحَبِّبُهُمُ اللهُ فِي بَعْضِهِمْ، فَيُحِبُّ بَعْضُهُمُ البَعْضَ، وَيُحِبُّهُمُ اللهُ وَيُقَرِّبُهُمْ، فَمَا أَجْمَلَ هَذَا الحُبَّ! حُبُّ اللهِ لَنَا وَحُبُّنَا فِي بَعْضِنَا، لِذَا فَقَدْ جَعَلَ اللهُ قَسْوَةَ القَلْبِ عُقُوبَةً فِي الدُّنْيَا تُؤَدِّي بِصَاحِبِهَا إِلَى النَّارِ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة١٣] إِذًا .. رَحْمَةُ القَلْبِ مَثُوبَةٌ مِنَ اللهِ وَفَضْلٌ.

وَإِذَا أَحْبَبْتَ أَخَاكَ فَأَعْلِمْهُ؛ فَتِلْكُمْ سُنَّةُ النَّبِيِّ؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ؛ فَقَالَ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ(١): «أَأَعْلَمْتَهُ؟ قَالَ: لا، قَالَ: أَعْلِمْهُ، قَالَ: فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ» وَأَيْضًا وَرَدَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ(٢): «يَا مُعَاذُ، إِنِّي لأُحِبُّكَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا أُحِبُّكَ، قَالَ: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ أَنْ تَقُولَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» أَمَّا أَنْ يَحْدُثَ خِلاَفٌ فَيَنْقَلِبُ الصَّاحِبُ عَلَى صَاحِبِهِ، لاَ ..لاَ يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ، فَالخِلاَفُ فِي الرَّأْيِ لاَ يُفْسِدُ لِلْوُدِّ قَضِيَّةً كَمَا يَقُولُونَ؛ وَلاَ تَهْجُرْهُ بَعْدَ ثَلاَثٍ؛ وَإِنْ قَابَلْتَهُ فِي الطَّرِيقِ أَطْلِقْ عَلَيْهِ السَّلاَمَ يُغْفَرْ لَكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(٣): «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا» فَلاَ تَجْعَلِ لِلْحِقْدِ وَالْهَجْرِ طَرِيقًا إِلَى قَلْبِكَ، فَإِنْ

---

(١) (حسن): احمد ١٢٠٢٢، صحيح سنن ابى داود ٣٣٣/٤.

(٢) (صحيح): احمد ٢١٦١٤، صحيح سنن ابى داود ٨٦/٢.

(٣) (صحيح): الترمذى ٢٧٢٧، صحيح سنن ابى داود ٥٢١٢.

كُنْتَ وَلاَ شَكَّ فَاعِلاً فَثَلاَثَةُ أَيَّامٍ؛ وَانْتَبِهْ جَيِّدًا؛ فَالأَحَادِيثُ أَتَتْ مُتَوَاتِرَةً؛ لِلحَثِّ عَلَى الإِصْلَاحِ بَيْنَ الإِخْوَةِ.

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: حُبُّ الخَيْرِ لَهُ

أَنْ تُحِبَّ لأَخِيكَ مَا تُحِبُّهُ لِنَفْسِكَ؛ فَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ[1]: **«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ؛ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»** فَقَدْ ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ حُبَّ أَخِيكَ أَوَّلاً لِلْحَثِّ عَلَى ذَلِكَ؛ فَكُلُّ خَيْرٍ تُحِبُّهُ لِنَفْسِكَ تُحِبُّهُ لأَخِيكَ أَيْضًا؛ لِيَصِيرَ المُجْتَمَعُ مُتَآلِفًا، فَهَذَا حَقٌّ أَصِيلٌ مِنْ حَقِّ أَخِيكَ عَلَيْكَ، فَادْعُ لَهُ بِخَيْرٍ بِظَهْرِ الغَيْبِ؛ فَدَعْوَةُ الأَخِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: **«دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ؛ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»** فَلاَ تَكُنْ عَوْنًا -أَيُّهَا الحَبِيبُ- لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكَ، وانْصَحْ لَهُ.

---

(١) (صحيح): البخاري ١٣، مسلم ٤٥، الترمذي ٢٥١٥.

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِيثَارُ

الإِيثَارُ صِنَاعَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ، لاَ تَجِدُ تَرْجَمَةً بِاللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ لِهَذِهِ الكَلِمَةِ؛ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْرِفُونَهَا، فَمَا الَّذِي يَجْعَلُ الجَرْحَى المسْلِمِينَ فِي مَعْرَكَةِ اليَرْمُوكِ[1]؛ يَرْمُوكِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلاَءِ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو وَالحَارِثُ بنُ هِشَامٍ وَعِكْرِمَةُ بنُ أَبِي جَهْلٍ وَجَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي المغِيرَةِ؛ فَمَاذَا حَدَثَ؟! يَأْتِي إِلَيْهِمُ السَّاقِي بِالمَاءِ؛ لِيَشْرَبُوا قَبْلَ اسْتِشْهَادِهِم، فَذَهَبَ إِلَى الجُنْدِيِّ الأَوَّلِ فِي أَوَّلِ الصَّفِّ فَقَالَ لِلسَّاقِي فِي إِيثَارٍ شَدِيدٍ: إِنِّي أَشْعُرُ أَنَّ أَخِي فِي الصَّفِّ فِي حَاجَةٍ أَشَدَّ إِلَى المَاءِ، وَهَكَذَا قَالُوا جَمِيعًا؛ حَتَّى وَصَلَ إِلَى آخِرِ الصَّفِّ فَقَالَ الجُنْدِيُّ الأَخِيرُ: إِنِّي لأَشْعُرُ أَنَّ أَخِي فِي أَوَّلِ الصَّفِّ فِي حَاجَةٍ أَشَدَّ مِنِّي إِلَى المَاءِ، فَعَادَ السَّاقِي إِلَى الجُنْدِيِّ الأَوَّلِ ثُمَّ الثَّانِي فَوَجَدَهُم

---

(١) كتاب (المجموع المنتخب من المواعظ والأدب) زامل الصالح الزامل.

جَمِيعًا اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ دُونَ أَنْ يَشْرَبَ أَحَدُهُم قَطْرَةَ مَاءٍ وَاحِدَةٍ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر٩] لِيَشْرَبُوا مِنَ الجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللهُ: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان٢١]

أَخُوكَ الحَقُّ مَنْ كَانَ مَعَكَ ... وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ؛ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَعَكَ ... شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

فَمَرَّ عَلَيْهِم خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ وَنَظَرَ إِلَيْهِم وَقَالَ: بِنَفْسِي أَنْتُمْ صَحَابَةَ رَسُولِ اللهِ!. فَاجْعَلِ المَحَبَّةَ وَاقِعًا عَمَلِيًّا تُعِيشُهُ مَعَ إِخْوَانِكَ، قَالَ يَحْيَ بنُ مَعِين الرَّازِي[1]: لِيَكُنْ حَظُّ أَخِيكَ مِنْكَ ثَلاثَة: إِنْ لَمْ تَنْفَعْهُ فَلاَ تَضُرُّهُ، وَإِنْ لَمْ تُفْرِحْهُ فَلاَ تَغُمُّهُ، وَإِنْ لَمْ تَمْدَحْهُ فَلاَ تَذُمُّهُ، فَالْتَمِسْ لأَخِيكَ الأَعْذَارَ يَغْفِرْ لَكَ العَزِيزُ الغَفَّارُ، وَتَجَاوَزْ عَنْ زَلاَّتِهِ.

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢٩٤.

الإِصْلَاحُ بَيْنَ الإِخْوَةِ

مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ المؤْمِنِينَ أَنَّهُ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِم، قَالَ اللهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ الكَرِيمَ وَمُمْتَنًّا عَلَيْهِ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٣] فَتِلْكَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، الأُخُوَّةُ وَالمحَبَّةُ فِي اللهِ وَللهِ، فَإِذا مَا حَدَثَ مَا يُعَكِّرُ صَفْوَ هَذِهِ العلاقَةِ فَاعْلَمْ -عِلْمَ اليَقِينِ- أَنَّ الصُّلْحَ بَيْنَ المتَخَاصِمِينَ مِنَ المؤْمِنِينَ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ المؤَهِّلَةِ لِرَحْمَةِ اللهِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء:١١٤] وَالنَّجْوَى: الكَلَامُ الخَفِيُّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَصَاحِبِهِ، فَأَكْثَرُ هَذِهِ المنَاجَاةِ لاَ خَيْرَ فِيهَا إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحِ مَا أَفْسَدَ العلاقَةَ وَإِزَالَةِ أَسْبَابِ العَدَاوَةِ وَالبَغْضَاءِ، والمعْرُوفُ: كُلُّ مَا أَمَرَ بِهِ الشَّرْعُ مِنْ خَيْرٍ، ثُمَّ قَالَ اللهُ ﷻ بَعْدَهَا فِي نَفْسِ

الآيَةِ مُبَيِّنًا ثَوَابَ المصْلِحِ فَقَالَ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء١١٤] فَهَذَا هُوَ الثَّوَابُ العَظِيمُ لِلْمُصْلِحِينَ، وَقَالَ اللهُ فِي عُمُومِ الأُمُورِ كُلِّهَا: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء١٢٨] وَأَمَرَ اللهُ -أَيْضًا- بِالإِصْلَاحِ بَيْنَ المتَقَاتِلِينَ مِنَ المؤْمِنِينَ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات٩] ثُمَّ قَالَ بَعْدَهَا فِي الآيَةِ مُبَيِّنًا ثَوَابًا عَظِيمًا آخَرَ مَنْ اللهِ ﷻ بِهِ عَلَى المصْلِحِينَ بَيْنَ المتَقَاتِلِينَ، فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات١٠] وَعَنْ أُمِّ كُلْثُوم بِنْتِ عُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْط قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ ﷺ [1]: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا» وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ زِيَادَةٌ قَالَتْ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِلاَّ فِي

---

(١) (صحيح): البخاري ٢٦٩٢، مسلم ٢٦٠٥، أبو داود ٤٩٢٠.

ثَلاثٍ، تَعْنِي: الحَرْبَ وَالإِصْلاَحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا.

وَلَقَدْ نَهَانَا رَسُولُ اللهِ عَنِ المَقَاطَعَةِ وَالتَّدَابُرِ فَقَالَ:[1] «**لا تَقَاطَعُوا وَلا تَدَابَرُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ**» فَالخِصَامُ عَمَلٌ شَيْطَانِيٌّ؛ لِذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ مُحَذِّرًا[2]: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ؛ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**» وَالتَّحْرِيشُ: الإِفْسَادُ وَتَغْيِيرُ القُلُوبِ وَتَقَاطُعُهَا؛ فَالشَّيْطَانُ لاَ يُضْرَبُ بِالعَصَا، إِنَّمَا يُضْرَبُ بِالطَّاعَاتِ وَالاسْتِغْفَارِ وَفِعْلِ الصَّالِحَاتِ وَذِكْرِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، فَهَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ؟! قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ [3]: «**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ؛ فَيَغْفِرُ اللَّهُ** -

---

(١) (صحيح): البخاري ٦٠٦٥، مسلم ٢٥٥٩، ابو داود ٤٩١٠.

(٢) (صحيح): مسلم ٢٨١٢، الترمذي ١٩٣٧.

(٣) (صحيح): مسلم ٢٥٦٥، ابو داود ٤٩١٦، الترمذي ٧٤٧.

الآيَةِ مُبَيِّنًا ثَوَابَ المصْلِحِ فَقَالَ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤] فَهَذَا هُوَ الثَّوَابُ العَظِيمُ لِلمُصْلِحِينَ، وَقَالَ اللهُ فِي عُمُومِ الأُمُورِ كُلِّهَا: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨] وَأَمَرَ اللهُ -أَيْضًا- بِالإِصْلَاحِ بَيْنَ المتَقَاتِلِينَ مِنَ المؤْمِنِينَ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩] ثُمَّ قَالَ بَعْدَهَا فِي الآيَةِ مُبَيِّنًا ثَوَابًا عَظِيمًا آخَرَ مَنَّ اللهِ ﷻ بِهِ عَلَى المصْلِحِينَ بَيْنَ المتَقَاتِلِينَ، فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠] وَعَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ[1]: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا» وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ زِيَادَةٌ قَالَتْ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِلاَّ فِي

---

(١) (صحيح): البخاري ٢٦٩٢، مسلم ٢٦٠٥، أبو داود ٤٩٢٠.

ثَلاثٍ، تَعْنِي: الحَرْبَ وَالإِصْلاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا.

وَلَقَدْ نَهَانَا رَسُولُ اللهِ عَنِ المُقَاطَعَةِ وَالتَّدَابُرِ فَقَالَ:[1] **«لا تَقَاطَعُوا وَلا تَدَابَرُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ»** فَالخِصَامُ عَمَلٌ شَيْطَانِيٌّ؛ لِذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ مُحَذِّرًا[2]: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ؛ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»** وَالتَّحْرِيشُ: الإِفْسَادُ وَتَغْيِيرُ القُلُوبِ وَتَقَاطُعُهَا؛ فَالشَّيْطَانُ لاَ يُضْرَبُ بِالعَصَا، إِنَّمَا يُضْرَبُ بِالطَّاعَاتِ وَالاسْتِغْفَارِ وَفِعْلِ الصَّالِحَاتِ وَذِكْرِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، فَهَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ؟! قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[3]: **«تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللَّهُ -**

---

(١) (صحيح): البخاري ٦٠٦٥، مسلم ٢٥٥٩، ابو داود ٤٩١٠.

(٢) (صحيح): مسلم ٢٨١٢، الترمذي ١٩٣٧.

(٣) (صحيح): مسلم ٢٥٦٥، ابو داود ٤٩١٦، الترمذي ٧٤٧.

وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال٤٦]

القوم ما إتحدوا ليقوى شأنهم ... فيصد عنهم طامع أو عادي(١)
في كل وقت للجماعة قوة ... ليست لدى التحقيق للآحاد

فَالذِّئْبُ يَأْكُلُ الغَنَمَ القَاصِيَةَ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ(٢): «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ؛ فَلَا يُؤَذَّنُ، وَلَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَوَاتُ إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ؛ عَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ»..

٣- الخِلَافُ كُلُّهُ شَرٌّ؛ بِسَبَبِهِ رُفِعَتْ لَيْلَةُ القَدْرِ!!

نَعَمْ وَاللَّهِ.. فَالخِلَافُ كُلُّهُ شَرٌّ؛ فَلَيْلَةُ القَدْرِ أَعْظَمُ لَيَالِي العَامِ رُفِعَ عَنَّا وَقْتُهَا بِسَبَبِ خِلَافٍ بَيْنَ رَجُلَيْنِ؛ فَعَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ

---

(١) جميل صدقي الزهاوي، ١٢٧٩ -١٣٥٤هـ، مولده ووفاته ببغداد، ونسبة الزهاوي إلى زهاو من أعمال إيران حاليًا.

(٢) (صحيح): أحمد ٢٦٩٦٨، أبو داود ٥٤٧، النسائي ٨٤٧.

قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلاحَى رَجُلانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ[1]: «إِنِّي خَرَجْتُ، لأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلاحَى[2] فُلانٌ وَفُلانٌ فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالْخَمْسِ» فَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَأْتَلِفَ -أُمَّةَ الإِسْلامِ- وَلاَ نَخْتَلِفَ، وَأَنْ نَجْتَمِعَ وَلاَ نَتَفَرَّق..وَكَانَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ وَهُوَ الحَرِيصُ عَلَى وحْدَةِ المسْلِمِينَ وَتَآلُفِهِم لِمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ وَأَبِي مُوسَى عِنْدَمَا أَرْسَلَهُمَا إِلَى اليَمَنِ[3]: «يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلا تَخْتَلِفَا».

وَلْنَدْعُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنَا حُبَّ بَعْضِنَا البَعْضَ، فَالحُبُّ رِزْقٌ يُسَاقُ إِلَى العِبَادِ، فَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ إِلاَّ عَلَى خَدِيجَةَ، وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ

---

(١) (صحيح): أحمد ٢٢١٥٩، البخاري٤٩.

(٢) تلاحى رجلان: تنازعا وتخاصما.

(٣) (صحيح) البخاري ٣٠٣٨، مسلم ١٧٣٣، النسائي ٤٠٦٦.

وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال٤٦]

القوم ما إتحدوا ليقوى شانهم	فيصد عنهم طامع أو عادي(١)
في كل وقت للجماعة قوة	ليست لدى التحقيق للآحاد

فَالذِّئْبُ يَأْكُلُ الغَنَمَ القَاصِيَةَ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ[٢]: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ؛ فَلَا يُؤَذَّنُ، وَلَا تُقَامُ فِيهِمْ الصَّلَوَاتُ إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ؛ عَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ»..

٣- الخِلَافُ كُلُّهُ شَرٌّ؛ بِسَبَبِهِ رُفِعَتْ لَيْلَةُ القَدْرِ!!

نَعَمْ وَاللهِ.. فَالخِلَافُ كُلُّهُ شَرٌّ؛ فَلَيْلَةُ القَدْرِ أَعْظَمُ لَيَالِي العَامِ رُفِعَ عَنَّا وَقْتُهَا بِسَبَبِ خِلَافٍ بَيْنَ رَجُلَيْنِ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

---

(١) جميل صدقي الزهاوي، ١٢٧٩ -١٣٥٤هـ، مولده ووفاته ببغداد، ونسبة الزهاوي إلى زهاو من أعمال إيران حاليًا.

(٢) (صحيح): أحمد ٢٦٩٦٨، ابو داود ٥٤٧، النسائي ٨٤٧.

قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلاحَى رَجُلانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ[1]: «إِنِّي خَرَجْتُ؛ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلاحَى[2] فُلانٌ وَفُلانٌ فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالْخَمْسِ» فَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَأْتَلِفَ -أُمَّةَ الإِسْلاَمِ- وَلاَ نَخْتَلِف، وَأَنْ نَجْتَمِعَ وَلاَ نَتَفَرَّق..وَكَانَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ وَهُوَ الحَرِيصُ عَلَى وحْدَةِ المسْلِمينَ وَتَآلُفِهِم لِمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ وَأَبِي مُوسَى عِنْدَمَا أَرْسَلْهُمَا إِلَى اليَمَنِ[3]: «يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلا تَخْتَلِفَا».

وَلْنَدْعُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنَا حُبَّ بَعْضِنَا البَعْضَ، فَالحُبُّ رِزْقٌ يُسَاقُ إِلَى العِبَادِ، فَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ إِلاَّ عَلَى خَدِيجَةَ، وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا؛ قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ

(١) (صحيح): احمد ٢٢١٥٩، البخاري٤٩.

(٢) تلاحى رجلان: تنازعا وتخاصما.

(٣) (صحيح) البخاري ٣٠٣٨، مسلم ١٧٣٣، النسائي ٤٠٦٦.

اللَّهِ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ، قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ[1]: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا» فَنَحْنُ لِمْ نُخْلَقْ لِلتَّنَازُعِ وَالشِّقَاقِ؛ فَعَنْ أَبِي هِنْدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ؛ فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ فَقَالَ[2]: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ[3]، بِهَذَا هَلَكَتْ الأُمَمُ قَبْلَكُمْ» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ تَخَلَّفْتُ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسَ وَتَخَلُّفِي عَنْهُ.

---

(١) (صحيح) مسلم ٢٤٣٥.

(٢) (صحيح) ابن ماجة ٨٥، صحيح الألباني (٣٣/١).

(٣) اي ان كلا منهم يستدل على قوله بآيات من القرآن واخوه يعارضه بآية اخرى، فهذا يثبت واخوه ينفي قوله، فعندما سمع النبي ذلك احمرَّ وجهه غضبا كأنما يشبه فقء حب الرمان.

٤- الجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالفُرْقَةُ عَذَابٌ

وَالقَاعِدَةُ الشَّرْعِيَّةُ تَقُولُ(١): النَّهْيُ عَنْ شَيْءٍ أَمْرٌ بِضِدِّهِ، فَاللهُ يَنْهَاكَ عَنِ الشَّرِّ أَيْ: أَمَرَكَ بِفِعْلِ الخَيْرِ..وَلَقَدْ نَهَانَا اللهُ كَثِيرًا فِي القُرْآنِ عَنِ التَّفَرُّقِ وَلَقَدْ حَذَّرَنَا رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مِنْ أَخْلَاقِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا حَيْثُ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران١٠٥] وَقَالَ رَسُولُ اللهِ نَاصِحًا (٢): «الجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالفُرْقَةُ عَذَابٌ» وَقَالَ أَيْضًا (٣): «مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الجَمَاعَةَ» وَلَقَدْ ضَرَبَ أَحَدُ الآبَاءِ لِأَوْلَادِهِ مَثَلًا وَاقِعِيًّا فِي الاتِّحَادِ وَالقُوَّةِ؛ عِنْدَمَا أَعْطَى لِكُلِّ وَلَدٍ

---

(١) القاعدة ليست على إطلاقها فمثلا الآية الكريمة: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [النور٣٣] لا تتناسب معها القاعدة وإلا ادى ذلك الأمر إلى مفسدة عظيمة.

(٢) (صحيح): صحيح الجامع ٣١٠٩

(٣) (صحيح): الترمذى ٢١٦٥، صحيح الجامع ٢٥٤٦

عَصًا؛ لِيَكْسِرَهَا فَكَسَرَهَا فِعْلاً، وَعِنْدَمَا جَمَعَ كُلَّ العِصِيِّ فِي حزْمَةٍ وَاحِدَةٍ لَمْ يَسْتَطِيعُوا كَسْرَهَا فَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ أَقْوِيَاءُ مَا اتَّحَدْتُمْ، ضُعَفَاءُ مَا تَفَرَّقْتُمْ..

وَلاَ يَخْفَى عَلَى إِنْسَانٍ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي جِسْمِهِ يَعْمَلُ مَعَ بَاقِي أَعْضَائِهِ؛ فَلَيْسَ هُنَاكَ عُضْوٌ يَعْمَلُ بِمَنْأًى عَنْ أَخِيهِ؛ إِنَّهُ التَّعَاوُنُ وَالاتِّحَادُ، وَلاَ يَفُوتُنِي ذِكْرُ أَمْرِ اللهِ لِلْعِبَادِ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢] فَعَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ عُضْوًا فَعَّالاً فِي مُجْتَمَعِهِ، وَيَسْتَخْدِمَ كُلَّ هَذِهِ الأَعْضَاءِ فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ وَأَيْضًا يَتَفَاعَلُ مَعَ الآخَرِينَ وَيَحْضُرُنِي هُنَا قَوْلُ نَبِيِّ اللهِ مُوسَى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه٢٥-٣٢]

٥- الْزَمُوا الجَمَاعَةَ

لاَ يَخْفَى عَلَى مُسْلِمٍ مَا فِي الجَمَاعَةِ وَالجَمَاعَاتِ مِنْ جَمَالٍ لِلإِسْلَامِ، وَقُوَّةٍ لِلدِّينِ، وَغَيْظٍ لِلكُفَّارِ وَالمُلْحِدِينَ، وَلَقَدْ أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَقَالَ[1]: **«فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ؛ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟! قَالَ: الْجَمَاعَةُ»**، فَبَيَّنَ رَسُولُ اللهِ أَنَّ عَامَّةَ المخْتَلِفِينَ هَالِكُونَ إِلاَّ فِرْقَةً وَاحِدَةً وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ..

فَكُلُّ هَذِهِ الآيَاتِ دَلَّتْ عَلَى وُجُوبِ تَحْقِيقِ الأُخُوَّةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ شَدِيدًا عَلَى الصَّحَابَةِ فِي شَأْنِ الاخْتِلافِ، فَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلا قَرَأَ آيَةً، سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ خِلافَهَا؛ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَأَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: كِلاكُمَا مُحْسِنٌ، ثُمَّ قَالَ[2]: **«لا تَخْتَلِفُوا؛ فَإِنَّ مَنْ**

---

(١) (صحيح): ابو داود ٤٥٩٦، صحيح الجامع ١٠٨٢.

(٢) (صحيح): البخاري ٢٤١٠.

كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا» فالنَّبِيُّ نَهَى عَنِ الاخْتِلَافِ الَّذِي فِيهِ جَحْدُ كُلٍّ وَاحِدٍ مِنَ المخْتَلِفِينَ مَا مَعَ الآخَرِ مِنَ الحَقِّ؛ لأَنَّ كِلاَ القَارِئَيْنِ كَانَ مُحْسِنًا فِيمَا قَرَأَهُ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا، قَالَ تعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود١١٨] فَجَعَلَ اللهُ أَهْلَ الرَّحْمَةِ مُسْتَثْنَيْنِ مِنَ الاخْتِلَافِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَيْضًا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة١٧٦] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام١٥٩] وَالآيَاتُ مُتَعَدِّدَةٌ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الفُرْقَةِ وَقَالَ: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون٥٣].

كونُوا جميعاً يا بَنِيَّ إذا اعترى ... خَطْبٌ ولا تتفرقُوا آحادًا[١]
تأبَى القِداحُ إذا اجتمعْنَ تكسُّراً ... وإذا افترقْنَ تكسَّرتْ أفرادًا

(١) الطغرائي: الحسين بن على الأصبهاني، ٤٥٥ -٥١٣هـ ، شاعر من الوزراء الكتاب، كان ينعت بالأستاذ.

مَا أَجْمَلَ نِدَاءَ اللهِ! وَمَا أَعْظَمَ ظِلَّهُ!

وَاجْعَلْ حُبَّكَ لَهُ للهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[1]: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟! الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي» وَلَمْ يَقُلْ: أَيْنَ المتفرِّقُونَ وَالمختَلِفُونَ المتَشَاحِنُونَ؟! فَوَاللهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ ثَوَابُ الحُبِّ فِي اللهِ إِلاَّ هَذَا الثَّوَابَ لَكَفَى! يَوْمَ تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الرُّءُوسِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ[2]: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ» أَمَّا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فَأْتِي حَدِيثُ النَّبِيِّ عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ بِقَوْلِهِ[3]: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُدْنَى

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٥٦٦، أحمد ٧١٩٠.

(٢) (صحيح): البخاري ٦٥٣٢.

(٣) (صحيح): مسلم ٢٨٦٤.

الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى؛ تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟! أَمَسَافَةَ الأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ؟! قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ[1]، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ[2]»، فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالَّذِي مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفِ سَنَةٍ، قَالَ اللهُ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤] فِي هَذَا الْيَوْمِ الطَّوِيلِ تَتَرَاكَمُ الأَهْوَالُ، وَيَزْدَحِمُ النَّاسُ ازْدِحَامًا وَتَدْنُو الشَّمْسُ، حِينَئِذٍ يُظِلُّكَ اللهُ بِظِلِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ هَذَا الثَّوَابَ! وَمَا أَجْمَلَ هَذَا الظِّلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

(١) حقويه: خصريه.

(٢) فيه: فمه.

العَظِيم! فَالأَمْرُ عَظِيمٌ وَلَيْسَ كَمَا تَتَخَيَّلُ أَنْتَ؛ فَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْلَمُهُ وَيَعْلَمُ خُطُورَتَهُ، وَيَعْلَمُ الأَهْوَالَ الجِسَامَ فِيهِ، وَيَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ نَعْلَمُ نَحْنُ، وَيَعْلَمُ أُمُورَ دِينِنَا وَدُنْيَانَا أَكْثَرَ مِنَّا نَحْنُ الَّذِينَ لاَ نَقْرَأُ القُرْآنَ إِلاَّ فِي رَمَضَانَ؛ فَمَاذَا - إِذًا- نَعْرِفُ مِنَ القُرْآنِ؟! فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ قَالَ[1]: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»، قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ[2]، فَقَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟! قَالَ: فُلاَنٌ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة:١٠١].

(١) (صحيح): البخاري ٤٦٢١.

(٢) خنين: صوت مرتفع يخرج من الصدر بسبب البكاء.

الرَّحِمُ لُغَةً

أَصْلُ هَذِهِ الكَلِمَةِ(١): مَأْخُوذَةٌ مِنَ (الرُّحْم) أَوْ (الرَّحْم) وَهُمَا القَرَابَةُ وَأَسْبَابُهَا، وَمُشْتَقَّةٌ مِنْ مَادَّةِ: رَحِمَ أَيْ: رَقَّ لَهُ وَعَطَفَ عَلَيْهِ، تَرَاحَمَ القَوْمُ: رَحِمَ بَعْضُهُم بَعْضًا، تَرَحَّمَ عَلَيْهِ أَيْ: دَعَا لَهُ بِالرَّحْمَةِ، وَالرَّحْمَةُ أَيْ: الخَيْرُ وَالنِّعْمَةُ وَالشَّفَقَةُ وَالحَنَانُ، المَرْحَمَةُ أَيْ: الرَّحْمَةُ، وَجَمْعُهَا مَرَاحِمُ، وَرَحْمَةُ اللهِ: نِعَمُهُ وَأَلْطَافُهُ وَإِكْرَامُهُ، والرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ مِثْلُ قَوْلِكَ: نَدِيمٌ وَنَدْمَانٌ، والرَّحِمُ أَيْ: وِعَاءُ الجَنِينِ فِي البَطْنِ؛ لِمَا يَلْقَاهُ فِيهِ مِنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَذَوُو الأَرْحَامِ أَيْ: الأَقَارِبُ. وَحَسْبُنَا مِنْهَا مَا ذَكَرْنَاهُ..

---

(١) راجع: لسان العرب لابن منظور، مختار الصّحاح للرازي.

ذو الرَّحِمِ الكَاشِحِ

رُبَّمَا يلفِتُ نظَرَكَ هَذَا العُنْوَانُ؛ وَلَكِنَّهُ تَوْجِيهٌ -مِنَ النَّبِيِّ- عَظِيمٌ؛ لأَنَّكَ تَسُلُّ سَخِيمَةَ قَلْبِهِ، وتَنْزِعُ الحِقْدَ مِنْ قَلْبِهِ بِمَبْلَغٍ زَهِيدٍ؛ لِذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ [1]: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الكَاشِحِ» وَالكَاشِحُ: القَرِيبُ الحَقُودُ الكَارِهُ لَكَ أَوْ العَدُوُّ المُبْغِضُ، وَرُبَّمَا آذَاكَ كَثِيرًا، فَأَنْ تَعْفُوَ عِنْدَ المَقْدِرَةِ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَتَصْفَحَ، فَهَذَا -لاَ شَكَّ- عَمَلٌ حَسَنٌ، وَفِيهِ قَهْرٌ لِلنَّفْسِ وَإِذْعَانٌ لِمُعَادِيهَا؛ فَالصَّفْحُ الجَمِيلُ هُوَ أَلاَّ تُؤْذِيَ مَنْ آذَاكَ، أَيْ: تَصْفَحُ عَنْهُ وَلا تَمَسَّهُ بِسُوءٍ، فَمَنْ مِنَّا يَتَمَثَّلُ هَذَا الخُلُقَ الجَمِيلَ.

سَأَمْنَحُ مَالِي كُلَّ مَنْ كَانَ طَالِبًا ... وَأَجْعَلُهُ وَقْفًا عَلَى النَّفْلِ وَالفَرْضِ
فَأَمَّا كَرِيمٌ صُنْتُ بِالمَالِ عِرْضَهُ ... وَأَمَّا لَئِيمٌ صُنْتُ عَنْ لُؤْمِهِ عِرْضِي

لَكِنَّ الخُلُقَ الأَفْضَلَ مِنْهُ أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِ وَلاَ تَبْدَأْ بِإِسَاءَةٍ أَبَدًا، وَعَلَيْكَ بِالإِحْسَانِ فَهَذَا خُلُقٌ أَعْظَمُ مِنَ الأَوَّلِ، قَالَ اللهُ

---

(١) (صحيح): أحمد ١٤٨٩٦، صحيح الجامع ١١١٠.

تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى ٤٠] فَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، فَإِنْ صَادَفَ هَذَا الإِحْسَانُ أُنَاسًا مُحْسِنِينَ فَهُمْ أَهْلٌ لَهُ، وَإِنْ صَادَفَ أُنَاسًا مُسِيئِينَ فَأَنْتَ أَهْلٌ لَهُ، وَلاَ تُقَابِلْ إِحْسَانًا بِإِسَاءَةٍ أَبَدًا؛ فَالإِسَاءَةُ وَالإِحْسَانُ لاَ يَسْتَوِيَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت ٣٤] فَقَدِّمِ الخَيْرَ وَالإِحْسَانَ لِنَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ تَلْقَى اللهَ، فَيَجْزِيكَ بِالإِحْسَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن ٦٠-٦١] نَعَمْ..يَا رَبَّنَا لاَ نُكَذِّبُ بِأَيٍّ مِنْ نِعَمِكَ؛ لِذَا قَالَ اللهُ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى ٤٣] فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ اللهِ (لِمَنْ) حَتَّى لاَ تَنْتَقِمَ لِنَفْسِكَ مِنْ غَرِيمِكَ، فَالآيَةُ مُؤَكَّدَةٌ بِاللامِ؛ لِحَثِّ المؤْمِنِ عَلَى عَدَمِ الانْتِقَامِ؛ فَلْتَصْبِرْ وَلاَ تَنْتَقِمْ، فَالصَّبْرُ هُنَا فِيهِ غَرِيمٌ، أَمَّا قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ

عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان١٧] فَهَذَا صَبْرٌ لاَ غَرِيمَ لَكَ فِيهِ مِثْلُ الصَّبْرِ عَلَى المرَضِ، أَوْ عَلَى مُصِيبَةٍ؛ أَنْتَ سَبَبٌ فِيهَا، فَقَالَ اللهُ (مِنْ) فَقَطْ..لِذَا قَالَ النَّبِيُّ فِي حَدِيثٍ آخَرَ فَقَالَ[1]: «الصَّدَقَةُ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَالصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ؛ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ» أي: أَنَّ لَكَ ثَوَابَيْنِ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَاللهُ يُضَاعِفُ لَكَ الخَيْرَ، لِذَا؛ فَقَدْ الْتَزَمَ الصَّحَابَةُ بِتَعَالِيمِ النَّبِيِّ، فَلِمَاذَا لاَ تَلْتَزِم أَنْتَ؟! بَلْ إِنَّ كُلَّ نَفَقَةٍ عَلَى أَهْلِكَ تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ تَعَالَى وَتَتَقَرَّبَ بِهَا إِلَيْهِ صَدَقَةٌ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ[2]: «إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا، فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ» يَا لِعَظِيمِ رَحْمَةِ اللهِ بِنَا، حَتَّى النَّفَقَةَ عَلَى أَهْلِنَا تُعْتَبَرُ مِنَ الصَّدَقَاتِ المقْبُولَةِ بِإِذْنِ اللهِ..وَيَقُولُ النَّبِيُّ فِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ[3]: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ.

---

(١) (صحيح): احمد ١٥٨٠٠، صحيح الجامع ٣٨٥٨.

(٢) (صحيح): البخارى ٥٥، مسلم ١٠٠٢.

(٣) (صحيح): احمد ٦٨٥٨، البخارى ١٤٢٦.

قَالَ: "**جُهْدُ الْمُقِلِّ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**" أَتَدْرِي لِمَاذَا؟! لأَنَّهَا عَنْ ظَهْرِ فَقْرٍ؛ فَإِنَّكَ لَوْ كُنْتَ فِي فَقْرٍ وَتَصَدَّقْتَ فَقَدْ حَقَّقْتَ أَعْظَمَ العِبَادَةِ، فَالفَضِيلَةُ تَتَفَاوَتُ بِحَسَبِ الأَشْخَاصِ وَقُوَّةِ التَّوَكُّلِ وَضَعْفِ اليَقِينِ، وَلَوْ كَانَتْ عَلَيْكَ نَفَقَةٌ وَاجِبَةٌ وَأَنْتَ فَقِيرٌ، فَلاَ تَتَصَدَّقْ مَعَ هَذِهِ القِلَّةِ إِلا عَلَى أَهْلِكَ؛ فَهُمْ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِم، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلَيْكَ نَفَقَةٌ وَاجِبَةٌ فَأُولُو الأَرْحَامِ -حِينَئِذٍ- أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِم بِالتَّصَدُّقِ، اسْمَعْ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه [1] وَهُوَ أَكْثَرُ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ؛ وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ

---

(١) (صحيح): البخاري ١٤٦١، مسلم ٩٩٨.

أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ؛ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بَخٍ؛ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ" فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ ﷺ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ، إِنَّهُم تَعَلَّمُوا عَلَى يَدِ النَّبِيِّ، خَيْرِ مَنْ أَعْطَى وَتَصَدَّقَ لِلَّهِ.

لاَ تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَتِهِ ... إِنَّ الكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدًا خُتِمُوا
لاَ تَحْسَبِ المَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ المَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

فَلا مَثِيلَ لِرَسُولِ اللهِ فِي كَرَمِهِ وَعَطَائِهِ.

أَسْبَابُ القَطِيعَةِ وَعِقَابُ قَاطِعِ الرَّحِمِ

الجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا؛ مَبْدَأٌ إِسْلَامِيٌّ عَظِيمٌ، وَفِي القُرْآنِ شَوَاهِدُ مُتَعَدِّدَةٌ عَلَى ذَلِكَ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم٣١] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة٤٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد٧]

وَالسُّؤَالُ هُنَا: هَلْ يَظُنُّ قَاطِعُ الرَّحِمِ أَنَّ اللهَ سَيَصِلُهُ؟! الإِجَابَةُ: لَا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ[1]: «خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتْ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ قَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ قَالَ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ بَلَى يَا رَبِّ قَالَ فَذَاكِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ» لَيْسَ لَكَ أَنْ

---

(١) (صحيح): البخارى ٤٨٣٢، مسلم ٢٥٥٤، أحمد ٧٨٧٢.

تَفْعَلَ هَذَا الشَّيْءَ؛ إِنْ كُنْتَ مُحِبًّا -بِحَقٍّ- لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ، فَلَا تَقْطَعْ شَيْئًا أَوْصَاكَ بِهِ رَسُولُ اللهِ؛ لِذَلِكَ يُحَذِّرُكَ رَسُولُ اللهِ بِقَوْلِهِ [1]: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» قَالَ سُفْيَانُ فِي رِوَايَتِهِ يَعْنِي: قَاطِعُ رَحِمٍ، وَوَصَفَهُمُ اللهُ بِالإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ؛ لِذَا فَجَزَاؤُهُمُ الْخُسْرَانُ وَاللَّعْنَةُ فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة:٢٧] فَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ لَهَا أَسْبَابٌ مُتَعَدِّدَةٌ -لَوْ عَرَفْتَهَا لَابْتَعَدْتَ عَنْهَا- مِنْهَا:

١- الْجَهْلُ بِعَوَاقِبِ الْقَطِيعَةِ الْوَخِيمَةِ الْعَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ؛

---

(١) (صحيح): البخاري ٥٩٨٤، مسلم ٢٥٥٦، ابو داود ١٦٩٦.

فَالعُقُوبَةِ مُعَجَّلَةٌ فِي الدُّنْيَا قَالَ رَسُولُ اللهِ[1]: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ».

٢- الحُبُّ لِمَصَالِحَ دُنْيَوِيَّةٍ وَمَنَافِعَ ذَاتِيَّةٍ؛ فَإِذَا مَا انْتَهَتْ هَذِهِ المَصْلَحَةُ انْتَهَى مَعَهَا الحُبُّ؛ نُرِيدُ أَنْ نَجْعَلَ حُبَّنَا للهِ حَتَّى تَدُومَ أَوَاصِرُهُ فَمَا كَانَ للهِ دَامَ وَاتَّصَلَ وَكَانَتْ نِهَايَتُهُ الجَنَّةَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[2]: «أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟! قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟! قَالَ: لا؛ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» لِذَا؛ فَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ أَنْ تَبْتَعِدَ عَنْ كُلِّ هَذِهِ الأَسْبَابِ البَغِيضَةِ، وَتَذْهَبَ فَوْرَ قِرَاءَةِ هَذِهِ السُّطُورِ إِلَى مَنْ

---

(١) (صحيح): احمد ١٩٨٦١، ابو داود ٤٩٠٢، الترمذي ٢٥١١.

(٢) (صحيح): احمد ٩٠٣٦، مسلم ٢٥٦٧.

قَطَعَكَ أَوْ قَطَعْتَهُ وَتَصِلُهُ، قُلْ لَهُ بِنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ رَاضِيَةٍ: جِئْتُكَ مُطِيعًا للهِ ﷻ وَمُنَفِّذًا لِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

٣- وَثَمَّةَ أَسْبَابٌ أُخْرَى مِنْهَا؛ ضَعْفُ التَّقْوَى وَالكِبْرُ بِسَبَبِ المَنْصِبِ أَوِ الثَّرَاءِ، وَالانْقِطَاعُ عَنْ صِلَةِ الأَرْحَامِ فَتْرَةً طَوِيلَةً، وَمَخَافَةُ العِتَابِ أَوِ التَّكْلِفُ الزَّائِدُ فِي الزِّيَارَاتِ وَأَخْذُ الهَدَايَا المَبَالَغِ فِيهَا، وَالطَّلَاقُ بَيْنَ الأَقَارِبِ وَالحَسَدُ وَالوِشَايَةُ وَالفِتَنُ وَكَثْرَةُ المِزَاحِ وَسُوءُ الأَخْلَاقِ مِنْ بَعْضِ الزَّوْجَاتِ أَوِ الأَزْوَاجِ، وَتَأْخِيرُ قِسْمَةِ المِيرَاثِ وَالطَّمَعُ الزَّائِدُ فِيهِ وَالاشْتِغَالُ بِالدُّنْيَا وَنِسْيَانُ الأَقَارِبِ وَعَدَمُ دَعْوَتِهِمْ إِلَيْهِم فِي المُنَاسَبَاتِ، وَالبَدْءُ بِالهُجُومِ السَّيِّءِ دُونَ إِبْدَاءِ الأَسْبَابِ -قَوْلاً وَفِعْلاً- وَأَنْتَ مُطَالَبٌ أَنْ تَدْفَعَ بِالحُسْنَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون٩٦] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت٣٤]

لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ وَلَكِنْ..!

هَذَا تَنْبِيهٌ آخَرُ مُهِمٌّ وَمُؤَثِّرٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ، فَأَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ مِنْ أَهْلِكَ، وَإِنْ قَطَعُوكَ، فَهَذِهِ أَعْلَى دَرَجَاتِ صِلَةِ الرَّحِمِ، يَقُولُ فِيهِ ﷺ[1]: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»، فَمَنْ غَفَرَ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ؛ أَلاَ تُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكَ؟! فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ[2]: «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ اللَّهُ لَكُمْ، وَيْلٌ لأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ؛ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا، وَهُمْ يَعْلَمُونَ» وَهَذَا حَدِيثٌ آخَرُ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ[3]: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ

---

(١) (صحيح): البخارى ٥٩٩١، ابو داود ١٦٩٧، الترمذى ١٩٠٨.

(٢) (صحيح): احمد ٦٥٠٥، صحيح الجامع ٨٩٧.

(٣) (صحيح): احمد ١٥١٩٢، ابو داود ٤٧٧٧، الترمذى ٢٠٢١.

الْخَلَائِقِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ». فَالصَّفْحُ الْجَمِيلُ هُوَ أَلاَّ تُؤْذِيَ مَنْ آذَاكَ، أَيْ: تَصْفَحُ عَنْهُ وَلا تَمَسَّهُ بِسُوءٍ، فَلاَ تُقَابِلْ ظُلْمًا بِظُلْمٍ، ادْفَعْ ظُلْمَهُ بِحَقٍّ لَكَ، فَإِلَّمْ تَقْدِرْ فَاصْبِرْ؛ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ، فَمَنْ مِنَّا يَتَمَثَّلُ هَذَا الْخُلُقَ الْجَمِيلَ الْعَظِيمَ؟! قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤] لَكِنَّ الْخُلُقَ الأَفْضَلَ مِنْهُ أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِ وَلاَ تَبْدَأَ بِإِسَاءَةٍ أَبَدًا، وَعَلَيْكَ بِالإِحْسَانِ فَهَذَا خُلُقٌ أَعْظَمُ مِنَ الأَوَّلِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠] فَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ- كَانَ يَجْلِسُ بَيْنَ تَلاَمِيذِهِ وَأَمَامَهُ الْمِحْبَرَةُ، فَمَرَّتْ مِنْ أَمَامِهِ جَارِيَتُهُ، فَتَعَثَّرَتْ فِيهَا فَوَقَعَتْ عَلَى الإِمَامِ وَأَوْرَاقِهِ وَقَمِيصِهِ، فَنَظَرَ طُلاَّبُهُ إِلَيْهِ؛ لِيَنْظُرُوا مَاذَا يَفْعَلُ بِهَا؟! فَقَالَ لَهَا: اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ لَهُ: لَقَدْ أَغْضَبَتْكَ! فَقَالَ: وَقَدْ أَرْضَيْتُ اللهَ فِيهَا، أَلَمْ يَقُلِ الْمَوْلَى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ

أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد٢٢] فَإِنْ صَادَفَ هَذَا الإِحْسَانُ أُنَاسًا مُحْسِنِينَ فَهُمْ أَهْلٌ لَهُ، وَإِنْ صَادَفَ أُنَاسًا مُسِيئِين فَأَنْتَ أَهْلٌ لَهُ، وَلاَ تُقَابِلْ إِحْسَانًا بِإِسَاءَةٍ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِكَ؛ فَالإِسَاءَةُ وَالإِحْسَانُ لاَ يَسْتَوِيَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت٣٤] فَقَدِّمْ الخَيْرَ وَالإِحْسَانَ لِنَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ تَلْقَى اللهَ، فَيَجْزِيكَ بِالإِحْسَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن٦٠-٦١] نَعَمْ..يَا رَبَّنَا لاَ نُكَذِّبُ بِأَيٍّ مِنْ نِعَمِكَ، وَمَا أَعْظَمَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران١٣٤]! وَلَقَدْ ذَكَرَ اللهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ مَرَاتِبَ دَقِيقَةً وَمُؤَثِّرَةً فِي النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ، كَظْمًا وَعَفْوًا ثُمَّ يَتْبَعُهُمَا حُبُّ اللهِ عَلَى إِحْسَانِهِمْ، وَذَكَرَ الآيَةَ بِأَسْمَاءِ الفَاعِلِينَ الَّتِي تُفِيدُ الثَّبَاتَ وَالاسْتِمْرَارَ، لاَ أَنْ تَعْفُوَ مَرَّةً ثُمَّ تُسِيءَ كَثِيرًا؛ لأَنَّكَ مَهْمَا انْتَقَمْتَ فَفِعْلُكَ مَحْدُودٌ، أَمَّا انْتِقَامُ اللهِ وَأَخْذُهُ شَدِيدَانِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾

[إبراهيم٤٧] وَلَوْ عَلِمْتَ أَنَّكَ بِعَفْوِكَ سَتَجْلِبُ لِنَفْسِكَ حُبَّ اللهِ لَعَفَوْتَ فَوْرًا؛ لِذَا لَمْ تَأْتِ الجُمْلَةِ مَعْطُوفَةً عَلَى سَابِقَتِهَا، إِنَّمَا أَتَتِ الجُمْلَةُ مُسْتَقِلَّةً بِنَفْسِهَا؛ لِتُبَشِّرَ المحسِنِينَ بِحُبِّ اللهِ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فَإِذَا أَحَبَّكَ اللهُ فَمَنْ يَكْرَهُكَ؟! فَمَنْ أَحَبَّهُ اللهُ حَبَّبَ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، وَوَضَعَ لَهُ القَبُولَ فِي الأَرْضِ، وَفِي نَفْسِ المعْنَى قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى٤٣] فَالآيَةُ المذْكُورَةُ مُؤَكَّدَةٌ بِاللامِ؛ لِحَثِّ المؤْمِنِ عَلَى عَدَمِ الانْتِقَامِ وَقَهْرِ نَفْسِهِ وَإِذْعَانِهَا لأَمْرِ رَبِّهَا؛ فَلْتَصْبِرْ وَلاَ تَنْتَقِمْ، فَالصَّبْرُ هُنَا فِيهِ غَرِيمٌ، فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ اللهِ (لَمِنْ) حَتَّى لاَ تَنْتَقِمَ لِنَفْسِكَ مِنْ غَرِيمِكَ (شَخْص بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ خِلافٌ) فَلَوْ عَامَلْتَ اللهَ فِيهِ لَصَبَرْتَ وَغَفَرْتَ وَأَحْسَنْتَ؛ فَالإِحْسَانُ سَبَبٌ لاسْتِجْلابِ مَحَبَّةِ اللهِ، فَلَوْ عَامَلْتَ نَفْسَكَ فِيهِ لَقَتَلْتَهُ مِنْ سُوءِ أَدَبِهِ؛ فَإِذَا أُوذِيتَ فَاصْبِرْ للهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ بِعَفْوِكَ هَذَا يُحَطُّ بِهِ مِنْ خَطَايَاكَ

بِقَدْرِ عَفْوِكَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ؛ وَثَوَابُ اللهِ أَعْظَمُ، فَإِنْ كُنْتَ عَفَوْتَ عَنِ الجَانِي فَمِنْ بَابِ أَوْلَى يُعْفَى عَنِ الجَنِي عَلَيْهِ..

وَالعَفْوُ الثَّانِي هُوَ عَفْوُ اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩] أَمَّا قَوْلُ لُقْمَانَ نَاصِحًا ابْنَهُ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] فَهَذَا صَبْرٌ لاَ غَرِيمَ لَكَ فِيهِ مِثْلُ الصَّبْرِ عَلَى المَرَضِ، أَوْ عَلَى مُصِيبَةٍ؛ أَنْتَ سَبَبٌ فِيهَا أَحْيَانًا، فَقَالَ اللهُ (مِنْ) فَقَطْ..

جَزَاءُ المُحْسِنِينَ الوَاصِلِينَ الأَرْحَامَ

لِهَذَا الخُلُقِ الكَرِيمِ جَعَلَ اللهُ لِلمُحْسِنِينَ الحُبَّ وَالمعِيَّةَ وَالرَّحْمَةَ وَالبَرَكَةَ وَالجَزَاءَ الحَسَنَ وَالبِشَارَةَ وَالأَمْنَ وَالجَنَّةَ وَالنَّظَرَ إِلَى وَجْهِ اللهِ الكَرِيمِ؛ فَالحُبُّ فَقَدْ سَبَقَ تَوْضِيحُهُ، أَمَّا المعِيَّةُ فَقَالَ اللهُ: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت٦٩] وَالرَّحْمَةُ فَقَالَ اللهُ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف٥٦] وَالبَرَكَةَ وَالزِّيَادَة: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ وَالجَزَاء الحَسَن فَقَالَ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر٣٤] وَالبِشَارَة فَقَالَ: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج٣٧] وَالأَمْنَ فَقَالَ: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل٨٩] وَالاسْتِمْتَاع بِأَعْظَمِ شَيْئَيْنِ فَقَالَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس٢٦] فَالحُسْنَى:الجَنَّة، وَالزِّيَادَة: النَّظَر إِلَى وَجْهِ الكَرِيمِ، وَرَفَعَ اللهُ عَنْهُمُ الحَرَجَ فَقَالَ: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَّحِيمٌ﴾ [التوبة١١٩] وَالأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر٣٤] لِذَا يَتَمَنَّى الإِنْسَانُ مِنَّا -يَوْمَ القِيَامَةِ- إِنْ كَانَ مُقَصِّرًا أَنْ يَعُودَ إِلَى الدُّنْيَا مَرَّةً ثَانِيَةً؛ لِيَكُونَ مِنَ المحسِنِينَ فَقَالَ اللهُ: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر٥٨]

فَلِمَاذَا صِلَةُ الرَّحِمِ؟! لأَنَّكَ إِذَا وَصَلْتَ رَحِمَكَ وَصَلَكَ اللهُ ﷻ، وَفِي هَذَا حَثٌّ وَتَرْغِيبٌ عَظِيمٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ ﷻ، فَكُلَّمَا كَانَ العَبْدُ لِلرَّحِمِ أَوْصَلَ كَانَ اللهُ ﷻ لَهُ أَوْصَلَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ [1]: «خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتْ الرَّحِمُ؛ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ [2] الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ

---

(١) (صحيح): البخاري ٤٣٨٢، مسلم ٢٥٥٤.

(٢) حَقْوُ: الخَصْرُ، وهو خَصْرٌ يليق بجلاله وجماله بلا تجسيد أو تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف.

وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ» اقْرَءُوا مَا شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد٢٢-٢٣] لَعَنَهُمُ اللهُ أَيْ: طَرَدَهُم وَأَبْعَدَهُم عَنْ رَحْمَتِهِ، وَقَدْ أَصَمَّهُم أَيْ: لاَ يَسْمَعُونَ الحَقَّ حَتَّى لَوْ سَمِعُوهُ مَا انْتَفَعُوا بِهِ، وَكَذَا أَعْمَى أَبْصَارَهُم أَيْ: لاَ يَرَوْنَهُ وَلَوْ رَأَوْهُ مَا انْتَفَعُوا بِهِ؛ لأَنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ هُمَا اللذَان يُوصِّلان الخَيْرَ إِلَى القَلْبِ؛ فَإِذَا انْسَدَّ الطَّرِيقُ لَمْ يَصِلْ إِلَى القَلْبِ خَيْرٌ قَط وَالعِيَاذُ بِاللهِ..

رَسُولُ اللهِ بَرِئٌ مِنْ هَذَا الاتِّهَامِ!

تَعْجَبُ أَشَدَّ العَجَبِ وَأَنْتَ تَقْرَأُ هَذَا الكَلاَمَ.. كَيْفَ يُتَّهَمُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَطْعِ الأَرْحَامِ وَهُوَ القَائِلُ فِي سَمْعِ الزَّمَانِ وَبَصَرِهِ[1]: «صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ».

وَأُذَكِّرُكَ بِحَدِيثٍ رَوَاهُ عَمْرُو بنُ عَبْسَةَ فِي وَقْتٍ اتُّهِمَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ -وَرَسُولُ اللهِ مِنْ هَذَا الاتِّهَامِ بَرِئٌ- بِأَنَّهُ أَتَى؛ لِيُفَرِّقَ بَيْنَ الأَرْحَامِ؛ لِيُفَرِّقَ بَيْنَ الأَبِ وَابْنِهِ وَبَيْنَ الأُمِّ وَابْنَتِهَا وَبَيْنَ الأَخِ وَأَخِيهِ، لاَ وَاللهِ، فَالأَمْرُ خِلافُ ذَلِكَ تَمَامًا؛ فَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْمَعُ وَلاَ يُفَرِّقُ، وَقَدْ شَهِدَ بِذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ بن حَرْبٍ عِنْدَمَا كَانَ كَافِرًا، وَذَهَبَ إِلَى هِرَقْلَ؛ لِيَسْتَنْصِرَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ هِرَقْلُ رَجُلاً أَرِيبًا عَاقِلاً، عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ

---

(١) (صحيح): احمد ١٦٩٩٩، صحيح الترغيب والترهيب ٢٥٣٦.

بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، حَيْثُ قَالَ لَهُ[1]: بِمَاذَا يَأْمُرُكُم؟ قَالَ أَبُو سُفْيَان قَوْلَةَ حَقٍّ رُغْمَ عَدَائِهِ -فَكَانَ العَرَبِيُّ لاَ يَكْذِبُ- حَيْثُ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ عَنْ رَسُولِ اللهِ: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْهِ كَذِبًا قَط، فَقَالَ هِرَقْلُ: مَا كَانَ لِيَذَرَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَقُولُ لَنَا: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ» أَيْ: يَأْمُرُنَا بِتَوْحِيدِ الخَالِقِ العَظِيمِ، وَالخَبَرِ الصَّحِيحِ وَالعَفَافِ عَنِ الزِّنَا، وَالزُّهْدِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنْ أَمْوَالٍ، وَيَأْمُرُنَا بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَكَانَتِ المفَاجَأَةُ مِنْ هِرَقْلَ أَنَّهُ قَالَ: إِنْ كَانَ مَا تَقُولُهُ -حَقًّا- فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ -وَهُوَ صَاحِبُ قُوَّةٍ عُظْمَى فِي عَهْدِهِ- فَأَيَّةُ بِشَارَةٍ هَذِهِ لِهَذَا الدِّينِ العَظِيمِ! وَصَدَقَ هِرَقْلُ! نَعَمْ.. فَرَسُولُ اللهِ أَحَقُّ بِالمُلْكِ مِنْهُ، وَمَا يَوْمُ اليَرْمُوكِ مِنَّا بِبَعِيدٍ، عِنْدَمَا لَقَّنَهُم ابنُ الوَلِيدِ دَرْسًا عَظِيمًا هُوَ وَرِفَاقُهُ الأَبْرَارُ وَقَضَوْا عَلَى شَوْكَةِ

---

(١) (صحيح): البخاري ٧، مسلم ١٧٧٣، ابو داود ٥١٣٦.

الرُّومِ؛ وَهَا هُوَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ فِي حَدِيثٍ آخَرَ مَاتِعٍ يَقُولُ[١]: كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلاَلَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ؛ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي؛ فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفٍ؛ جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ؛ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ ﷺ: «أَنَا نَبِيٌّ، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟! قَالَ: أَرْسَلَنِي اللَّهُ، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ» وَمِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَادِثَةِ الهِجْرَةِ الأُولَى إِلَى الحَبَشَةِ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، نَجِدُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يُلَخِّصُ لِلْمَلِكَ فِي أُسْلُوبٍ جَمِيلٍ حَيَاةَ العَرَبِ قَبْلَ وَبَعْدَ الإِسْلاَمِ فَقَالَ[٢]: أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا

---

(١) (صحيح): مسلم ٨٣٢، النسائى ١٤٧، ابن ماجة ٢٨٣.

(٢) (صحيح): انفرد به أحمد١٧٤٢.

أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ؛ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ؛ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ؛ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ؛ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ؛ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَقُلْ: الْحَمْدُ للهِ أَنْ هَدَاكَ لِلإِسْلَامِ؛ كَانَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِهِ: اللَّهُمَّ كَمَا هَدَيْتَنِي إِلَى الإِسْلَامِ دُونَ أَنْ أَسْأَلَكَ، فَاهْدِنِي إِلَى الْجَنَّةِ وَأَنَا أَسْأَلُكَ..

فَوَائِدُ وَثِمَارُ صِلَةِ الرَّحِمِ

لِصِلَةِ الأَرْحَامِ فَوَائِدُ مُتَعَدِّدَةٌ عَلَى الفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ المُسْلِمِ؛ فَيَصِيرُ بِسَبَبِهَا الفَرْدُ مَحْبُوبًا وَالمُجْتَمَعُ مُتَمَاسِكًا، وَهَاكُم هَذِهِ الفَوَائِدَ:

الفَائِدَةُ الأُولَى: طُولُ العُمُرِ وَالبَرَكَةُ فِي الرِّزْقِ

طُولُ العُمُرِ وَالبَرَكَةُ فِي الرِّزْقِ؛ فَمَنْ أَرَادَهُمَا مَعًا فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[1]: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» فَصِلَةُ الرَّحِمِ تَكُونُ سَبَبًا لِلتَّوْفِيقِ فِي الطَّاعَاتِ وَالبُعْدِ عَنِ المَعْصِيَةِ؛ فَيَبْقَى بَعْدَهُ الذِّكْرُ الجَمِيلُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَمِنْهَا أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى حَقِيقَتِهَا؛ فَالكِتَابُ كِتَابَانِ؛ فَالكِتَابُ الأَوَّلُ: كِتَابُ اللهِ (أُمّ الكِتَابِ) وَهُوَ كِتَابٌ لاَ يَتَقَدَّمُ أَوْ يَتَأَخَّرُ أَوْ يَزِيدُ أَوْ يَنْقُصُ، وَأَمَّا الكِتَابُ الثَّانِي: كِتَابُ المَلَكِ المُوَكَّلِ بِالأَعْمَارِ؛ وَهُوَ كِتَابٌ يُمْكِنُ الزِّيَادَةُ

---

(١) (صحيح): البخاري ٥٩٨٦، مسلم ٢٥٥٧، أبو داود ١٦٩٣.

وَالنُّقْصَانُ فِيهِ، وَإِلَيْهِ وَرَدَتِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد٣٩] وَلِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَنْ يُبْقِيَ أَثَرَ وَاصِلِ الأَرْحَامِ، وَيَنْشُرَ لَهُ ذِكْرًا حَسَنًا بَيْنَ النَّاسِ، فَيَذْكُرُونَهُ بِالخَيْرِ وَيَدْعُونَ لَهُ، وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ فَيَلْحَقُهُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ ثَوَابٌ عَظِيمٌ وَأَجْرٌ كَرِيمٌ، وَكَانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ يَقُولُ[1]: اللَّهُمَّ إِنْ كُنتَ كَتَبْتَنِي فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ فَأَثْبِتْنِي فِيهِم، وَإِنْ كُنتَ كَتَبْتَنِي فِي أَهْلِ الشَّقَاوَةِ وَالذَّنْبِ فَامْحُنِي؛ وَأَثْبِتْنِي فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالمَغْفِرَةِ؛ فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ وَعِنْدَكَ أُمُّ الكِتَابِ، وَقَالَ ابنُ مَسْعُودٍ نَحْوَ ذَلِكَ، وَفَسَّرَ ابنُ عَبَّاسٍ هَذِهِ الآيَةَ [2]: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام٢] فَقَالَ: الأَجَلُ الأَوَّلُ مِنْ وِلَادَتِهِ إِلَى مَوْتِهِ، وَالأَجَلُ الثَّانِي مِنْ وَفَاتِهِ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ فِي البَرْزَخِ؛ وَلَا

---

(١) تفسير القرطبي سورة الرعد الآية ٣٩.

(٢) نفس المصدر السابق.

يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ، فَإِذَا اتَّقَى العَبْدُ وَوَصَلَ رَحِمَهُ زَادَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَجَلِ البَرْزَخِ، وَلَوْ عَصَى العَبْدُ وَقَطَعَ رَحِمَهُ نَقَصَهُ اللهُ مِنْ أَجَلِهِ فِي الدُّنْيَا وَيَزِيدُ فِي أَجَلِ البَرْزَخِ، فَإِذَا جَاءَ الأَجَلُ المَحْتُومُ فَلاَ زِيَادَةَ وَلاَ نُقْصَانَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل٦١] وَقَالَ آخَرُونَ[1]: لاَ يُزَادُ فِي الأَجَلِ الَّذِي لاَ أَجَلَ لَهُ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل٦١] وَلَكِنْ مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُ يُكْتَبُ ثَوَابُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَمَنْ كُتِبَ لَهُ ثَوَابُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فَكَأَنَّهُ يَزِيدُ فِي عُمُرِهِ، وَالزِّيَادَةُ هُنَا بَرَكَةٌ فِي العَمَلِ وَالعُمُرِ وَالجَزَاءِ، وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ..

---

(١) نفس المصدر السابق.

الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: غُفْرَانُ الذُّنُوبِ بِوَصْلِهَا

وَمَنْ أَرَادَ غُفْرَانَ ذَنْبِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، فَقَدْ أَتَى رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَقَالَ لَهُ[1]: «إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا؛ فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟! فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟! قَالَ: لا، قَالَ: فَهَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَبِرَّهَا» فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟! فَانْظُرْ إِلَى بِرِّ الوَالِدَيْنِ وَجَزَائِهِ عِنْدَ اللهِ، بِسَبَبِهِ يَغْفِرُ اللهُ الذُّنُوبَ العَظِيمَةَ؛ حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ أُمُّكَ كَافِرَةً فَعَلَيْكَ بِصِلَتِهَا، وَتَأَمَّلْ معي سَعَةَ رَحْمَةِ اللهِ ﷻ بِعِبَادِهِ عِنْدَمَا أَنَّهُ وَصَّى سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاص ؓ خَيْرًا بِأُمِّهِ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ كُفْرِهَا بِاللهِ، وَأَنْزَلَ فِي شَأْنِهَا قُرْآنًا، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨] فَيَا لَعَظِيمِ رَحْمَةِ اللهِ! إِنَّهُ يُوصِي سَعْدًا وَلَدَهَا بِهَا حُسْنًا؛ وَهِيَ امْرَأَةٌ كَافِرَةٌ بِهِ! فَمَا بَالُكَ بِرَحْمَةِ اللهِ بِامْرَأَةٍ مُؤْمِنَةٍ رَاكِعَةٍ سَاجِدَةٍ؟! فَمَا أَوْسَعَ رَحْمَتَهُ! وَمَا أَعْظَمَ عَفْوَهُ عِنْدَمَا

---

(١) (صحيح): السلسلة الصحيحة الألباني ٢٥٢٦.

يَقْبَلُ الكَافِرَ بَعْدَ إِنَابَتِهِ وَعَوْدَتِهِ إِلَى الحَقِّ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال:٣٨]!

الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: مُضَاعَفَةُ الثَّوَابِ

لَقَدْ أَمَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَتَصَدَّقَ فَتَصَدَّقْ عَلَى الفَقِيرِ القَرِيبِ لَكَ فَقَالَ ﷺ [1]: «إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ» أَيْ: أَنَّ لَكَ ثَوَابَيْنِ -إِنْ شَاءَ اللهُ- وَاللهُ يُضَاعِفُ لَكَ الخَيْرَ، لِذَا؛ فَقَدْ الْتَزَمَ الصَّحَابَةُ بِتَعَالِيمِ النَّبِيِّ، فَلِمَاذَا لاَ تَلْتَزِمُ أَنْتَ؟!.

اسْمَعْ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ[2] أَكْثَرِ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ حَدِيقَةِ نَخْلٍ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

(١) (صحيح): النسائي ٢٥٨٢، ابن ماجة ١٨٤٤..
(٢) (صحيح): البخاري ١٤٦١، مسلم ٩٩٨، أبو داود ١٦٨٩

يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ؛ فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران٩٢] قَامَ أَبو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّهُ لَيْسَ لِي مَالٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَرْضِي بَيْرُحَاءَ؛ وَإِنِّي أَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللهِ ﷻ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَخٍ .. بَخٍ، بَيْرُحَاءُ خَيْرٌ رَابِحٌ، فَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ حَدَائِقَ».

الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: صِلَةُ الأَرْحَامِ مَاءٌ تُطْفِئُ النَّارَ

قَطِيعَةُ الرَّحِمِ نَارٌ، هَكَذَا شَبَّهَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَعِنْدَمَا نَزَلَتْ الآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء٢١٤] دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا فَعَمَّ وَخَصَّ، وَقَالَ ﷺ [1]: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا،

---

(١) (صحيح): البخاري ٢٧٥٣، مسلم ٢٠٤، الترمذي ٣٠٩٤.

يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا» أَيْ: سَأَبُلُّهَا بِالْمَاءِ، وَهَذِهِ أَلْفَاظٌ اسْتِعَارِيَّةٌ جَمِيلَةٌ، فَلَيْسَ هُنَاكَ فِي الْعَرَبِ كُلِّهِم -وَهُمْ مَنْ هُمْ فِي بَلاغَتِهِم وَفَصَاحَتِهِم- مَنْ هُوَ أَبْلَغُ مِنْ رَسُولِ اللهِ! فَقَدْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، إِذًا..مَا الَّذِي أَتَى بِالْمَاءِ هُنَا؛ لأَنَّ قَطِيعَةَ الرَّحِمِ نَارٌ فِي الدُّنْيَا تُؤَدِّي إِلَى النَّارِ فِي الآخِرَةِ، وَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ هِيَ الْمَاءُ، فَصِلْ رَحِمَكَ، وَأَطْفِئْ نَارَكَ بِنَفْسِكَ؛ حَتَّى لاَ تَكُونَ مَثْوَاكَ فِي الآخِرَةِ..

الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ: إِجَابَةُ الدُّعَاءِ

إِجَابَةُ الدُّعَاءِ، لِذَا يَدْعُو أَحَدُنَا فَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُفَتِّشَ فِي نَفْسِهِ جَيِّدًا وَفِي فِعْلِهِ بِأَقَارِبِهِ؛ أَتَدْرِي لِمَاذَا؟! لأَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ لاَ يُطْلَبُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ لاَ بِمَعْصِيَتِهِ؛ لَعَلَّهُ يَكُونُ قَاطِعَ

رَحِمٍ أَوْ يَدْعُو بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ[1]: «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا الاسْتِعْجَالُ؟! قَالَ: يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ» قال في الفَتْحِ الرَّبَّانِيِّ[2]: (يَدْعُ بِإِثْمٍ) مِثَالُ ذَلِكَ كَأَنْ يَقُولَ أَحَدُنَا: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي قَتْلَ فُلان أَوْ تَقُولُ: الزِّنَا بِفُلانَةٍ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، وَالإِثْمُ: الذَّنْبُ وَالمَعْصِيَةُ، وَالمُرَادُ هُنَا أَنْ يَدْعُوَ بِمَا لاَ يَحِلُّ لَهُ، فَكُلُّ دُعَاءٍ احْتَوَى عَلَى مُحَرَّمٍ حَرِيٌّ أَنْ لاَ يُسْتَجَابَ لِصَاحِبِهِ، وَكَيْفَ يُسْتَجَابُ لِمَنْ يَتَجَرَّأُ فَيَطْلُبُ حَرَامًا؟! فَادْعُ اللهَ كَمَا يُرِيدُ يَسْتَجِبْ لَكَ كَمَا تُرِيدُ.

(أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ) كَأَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِي مَثَلاً، وَإِنْ كَانَ هَذَا مِنَ الإِثْمِ أَيْضًا، فَهُوَ تَخْصِيصٌ بَعْدَ تَعْمِيمٍ، وَمِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ أَيْضًا الإِسَاءَةُ إِلَيْهَا، وَالدُّعَاءُ الَّذِي فِيهِ إِسَاءَةُ

---

(١) (صحيح): مسلم ٦٨٧١، الترمذي ٣٣٨١.

(٢) الفتح الرباني للساعاتي، ج١٤/٢٦٦.

لِلرَّحِمِ مِنْ مَوَانِعِ الإِجَابَةِ بَلْ تَوَعَّدَ اللهُ قَاطِعَ الرَّحِمِ أَنْ يَقْطَعَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ.

الفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: دُخُولُ الجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللهُ

عَمَلٌ يَهْدِيكَ إِلَى الجَنَّةِ وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ خَالِدِ بنِ زَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ [1]: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، فَقَالَ النَّبِيُّ: «**تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**» فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صِلَةَ الرَّحِمِ مِنَ الأَسْبَابِ الَّتِي تُدْخِلُكَ الجَنَّةَ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ مَاتِعٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ [2]: «**وَأَهْلُ الجَنَّةِ ثَلاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**» فِي الحَدِيثِ رَجُلٌ رَقِيقٌ رَحِيمٌ أَيْ: قَلْبُهُ بِهِ لِينٌ وَرَحْمَةٌ وَشَفَقَةٌ عَلَى كُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، يَرْحَمُ كُلَّ مَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ مِنْ

---

(١) (صحيح): البخاري ١٣٩٦، مسلم ١٣، النسائي ٤٦٨.

(٢) (صحيح): مسلم ٢٨٦٥، ابو داود ٤٨٩٥.

عِبَادِ اللهِ، فَهَذَا الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَأَيْنَ رَحْمَةُ المسْلِمِينَ بَعْضُهُم بِبَعْضٍ؟! وَيُقَالُ ثَلاثٌ مِنْ أَخْلاقِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَلاَ تُوجَدُ إلاَّ فِي الكَرِيمِ: الإِحْسَانُ إِلَى المُسِيءِ، وَالعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَالبَذْلُ لِمَنْ حَرَمَهُ!!.فَكُنْ أَنْتَ هَذَا الكَرِيمَ..

فَوَائِدُ أُخْرَى مُجْتَمِعَةٌ

فَصِلَةُ الرَّحِمِ تَجْلِبُ الفَوَائِدَ المتَعَدِّدَةَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ[1]: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُم مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي المَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ» مِنْ خِلاَلِ هَذَا البَابِ يَتَّضِحُ لَنَا ثَمَرَاتٌ مُهِمَّةٌ أُخْرَى وَهِيَ: حُصُولُ مَحَبَّةِ اللهِ وَصِلَتُهُ الدَّائِمَةُ لَكَ، وَتَكْفِيرُ الذُّنُوبِ وَالخَطَايَا وَتَيْسِيرُ الحِسَابِ، وَصِلَةُ الأَرْحَامِ -أَيْضًا- دَلِيلٌ قَوِيٌّ عَلَى كَرَمِ نَفْسِ الوَاصِلِ وَخُلُوِّهِ مِنَ الخُبْثِ، وَسَبَبٌ عَظِيمٌ لِلْقُرْبِ مِنَ اللهِ، وَتَيْسِيرُ الرِّزْقِ مِنْ حَيْثُ لاَ تَحْتَسِبُ، وَزَوَالُ الغَمِّ وَالهَمِّ،

---

(١) (صحيح): البخاري ٥٩٨٥، الترمذي ١٩٨٩.

وَسُرْعَةُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَزَوَالُ الوَحْشَةِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى؛ مِمَّا يَجْعَلُكَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا، وَتَذَوُّقُ حَلاَوَةِ الإِيمَانِ، وَدُعَاءُ حَمَلَةِ العَرْشِ العَظِيمِ لَكَ، وَحُصُولُ نُورٍ فِي القَلْبِ وَالوَجْهِ، وَبُعْدُ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ عَنْكَ؛ لِذَا أَقُولُ لَكَ مَرَّةً ثَانِيَةً بِمِلْءِ فَمِي: مَنْ يَصِلْ رَحِمَهُ يَفُزْ بِهَذِهِ الثَّمَرَاتِ مُجْتَمِعَةً إِنْ شَاءَ اللهُ، فَاعْمَلْ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَحْصُلَ عَلَى هَذِهِ الفَوَائِدِ؛ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ، أَمَّا أَنْ تَسْتَمِعَ وَتَتَأَثَّرَ بِالقَوْلِ وَلاَ تَنْفِيذَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكَ؛ فَتِلْكُمْ سِمَةُ اليَهُودِ فَاحْذَرْهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ [النساء:٤٦].

إِذَا كَانَ أَهْلُ الرَّحِمِ كُفَّارًا أَوْ فُجَّارًا، مَا العَمَلُ؟!

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي؛ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُلْتُ وَهِيَ رَاغِبَةٌ: أَفَأَصِلُ أُمِّي؟! قَالَ[1]: «نَعَمْ..صِلِي أُمَّكِ» رَاغِبَةٌ أَيْ: أَنْ أُمَّهَا مُتَطَلِّعَةٌ وَمُتَشَوِّقَةٌ إِلَى أَنْ تُعْطِيَهَا ابْنَتُهَا مَا شَاءَ اللهُ لَهَا أَنْ تُعْطِيَهَا أَوْ أَنَّهَا رَاغِبَةٌ عَنِ الإِسْلاَمِ.. حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ أُمُّكَ كَافِرَةً فَعَلَيْكَ بِصِلَتِهَا، وَتَأَمَّلْ معي سَعَةَ رَحْمَةِ اللهِ ﷻ بِعِبَادِهِ عِنْدَمَا أَنَّهُ وَصَّى سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاص ﵁ خَيْرًا بِأُمِّهِ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ كُفْرِهَا بِاللهِ، وَأَنْزَلَ فِي شَأْنِهَا قُرْآنًا، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت٨].

يَأْتِي رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَشْكُو لَهُ مِنْ أَهْلِهِ يَقُولُ: إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ،

---

(١) (صحيح): البخارى ٢٦٢٠، مسلم ٢٥٥٨.

وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ[1]: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ؛ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» أَيْ: كَأَنَّمَا تُطْعِمُهُمُ الرَّمَادَ الحَارَّ، وَهُوَ تَشْبِيهٌ لِمَا يَلْحَقُهُم مِنَ الإِثْمِ بِمَا يَلْحَقُ آكِلَ الرَّمَادِ مِنَ الأَلَمِ، وَلاَ شَيْءَ عَلَى المُحْسِنِ إِلَيْهِم، وَمَعَ ذَلِكَ فَاللهُ ﷻ عَوْنٌ وَمُؤَيِّدٌ لَكَ عَلَيْهِم مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ، فَصِلْهُمْ وَلاَ تَقْطَعْهُم، أَمَّا هُمْ فَعَلَيْهِم إِثْمٌ عَظِيمٌ؛ فَصِلَةُ الأَرْحَامِ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ؛ لِلتَّعَبُّدِ وَزِيَادَةِ رَصِيدِ حَسَنَاتِكَ.

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٥٥٨.

الخَاتِمَةُ: مُنَاشَدَةٌ أَخِيرَةٌ

وَأَخِيرًا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] اتَّقُوا اللهَ أَيْ: اخْشَوا رَبَّكُمْ وَمَوْلَاكُمُ الَّذِي تَسْأَلُونَهُ الحَاجَاتِ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ، تَسَاءَلُونَ مُسَاءَلَةً بَيْنَ اثْنَيْنِ سَائِلٍ وَمُجِيبٍ؛ فَالسَّائِلُ أَنْتَ؛ وَالمجِيبُ هُوَ رَبُّ العِبَادِ..

وَالأَرْحَامُ فِيهَا قِرَاءَتَان: إِذَا قُلْنَا: وَالأَرْحَامَ (بِالنَّصْبِ) أَيْ: وَاتَّقُوا الأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا؛ لِذَا فَصِلُوهَا، وَأَدُّوا حَقَّهَا، وَإِذَا قُلْنَا: وَالأَرْحَامِ (بِالجَرِّ) أَيْ: تَسَاءَلُونَ بِاللهِ وَبِالأَرْحَامِ، مِثْلُ قَوْلِكَ: نَشَدْتُكَ بِاللهِ وَالرَّحِمِ، أَيْ: نَاشَدْتُكَ بِاللهِ الَّذِي خَلَقَكَ وَبِالرَّحِمِ أَيْ: وَبِالقَرَابَةِ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ..

وَفِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ[1]: فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ تُنَاشِدُهُ

---

(١) (صحيح): البخاري ٢٥٨١، مسلم ٢٤٤١.

بِاللهِ وَالرَّحِمِ.. فَعُطِفَتْ؛ لِعِظَمِ حَقِّهَا كَمَا أَسْلَفْنَا القَوْلَ..

قَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ: لأَنْ أَصِلَ أَخًا مِنْ إِخْوَانِي بِدِرْهَمٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَتَصَدَّقَ بِعِشْرِينَ دِرْهَمٍ.

فَأَيْنَ رَحْمَةُ المسْلِمِينَ بَعْضُهُم بِبَعْضٍ؟! أَلَيْسُوا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ[1]: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»؟! فَمَا أَحْوَجَ الْمُسْلِمِينَ اليَوْمَ إِلَى هَذَا التَّرَاحُمِ وَالتَّعَاطُفِ فِي مُوَاجَهَةِ تَعَصُّبٍ وَفُجُورٍ وَاضْطِهَادٍ عَالَمِيٍّ ضِدَّ الإِسْلَامِ! إِنَّ هَذَا العُضْوَ يَمُوتُ مِنْ جَسَدِ الأُمَّةِ الكَبِيرِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ تَدَاعٍ مِنْ سَائِرِ الأَعْضَاءِ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَلَقَدْ أَصَابَنَا دَاءُ الأُمَمِ مِنْ قَبْلِنَا؛ قَسْوَةُ القَلْبِ! بَلْ أَمَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -وَهُوَ لاَ يَأْمُرُ إِلاَّ بِخَيْرٍ- أَنْ تَصِلَ رَجُلاً مُحِبًّا بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ أَبُوكَ أَيْ: يَمُوتُ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ دِينَار عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ

---

(١) (صحيح): البخاري ٦٠١١، مسلم ٢٥٨٦، أحمد ١٧٩١٣.

عُمَرَ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقٍ بِمَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، فَتَعَجَّبَ ابنُ دِينَار، وَقَالَ: أَصْلَحَكَ اللهُ؛ إِنَّهُم الأَعْرَابُ، وَهُمْ يَرْضَوْنَ بِاليَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّ هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بن الخَطَّابِ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ[1]: «إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ» فَتَعَجَّبَ ابْنُ دِينَارٍ مِنْ صُنْعِ ابنِ عُمَرَ مَعَ الأَعْرَابِيِّ، كَيْفَ يَفْعَلُ ذَلِكَ مَعَ هَذَا الأَعْرَابِيِّ؟! أَيْ: أَعْطَاهُ أَكْبَرَ مِمَّا تَخَيَّلَهُ ابنُ دِينَارٍ! إِنَّ ابنَ عُمَرَ تَعَلَّمَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمِنْ أَبِيهِ الفَارُوقِ كَيْفَ يُعْطِي؟!.

فَتَعَلَّمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ -كَمَا تَعَلَّمَ الصَّحَابَةُ- كَيْفَ تُرْضِي البُسَطَاءَ أَحْبَابَ أَبِيكَ وَأُمِّكَ؟! إِنَّ اللهَ ﷻ عَاتَبَ رَسُولَهُ الكَرِيمَ ﷺ فِي رَجُلٍ بَسِيطٍ وَهُوَ ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ حِينَ انْشَغَلَ بِصَنَادِيدِ قُرَيْشٍ عَنْهُ، وَأَنْزَلَ فِيهِ قُرْآنًا فِي سُورَةِ عَبَسَ: ﴿عَبَسَ

(١) (صحيح): مسلم ٢٥٥٢، ابو داود ٥١٤٣، الترمذي ١٩٠٣.

وَتَوَلَّى أَن جَاءَهُ الأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [عبس١-٤] وَيَقُولُ عَمْرُو بنُ دِينَارٍ: مَا مِنْ خَطْوَةٍ بَعْدَ الفَرِيضَةِ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خَطْوَةٍ إِلَى ذِي الرَّحِمِ!

فَكُنْ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- مِنَ الوَاصِلِينَ أَرْحَامَهُمْ وَإِنْ قَاطَعَهُمْ أَقَارِبُهُمْ؛ فَكُنْ عَوْنًا لِرَشِيدِهِمْ، وَوَاعِظًا لِسَفِيهِهِمْ وَصَابِرًا عَلَى أَذَاهُمْ، فَيَا لَسَعَادَةِ هَؤُلَاءِ الوَاصِلِينَ الصَّابِرِينَ! أَمَّا القَاطِعُونَ أَرْحَامَهُمْ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ.

تَمَّ - بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى -

فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ ١٤ مِنْ رَجَبٍ ١٤٢٧هـ، المُوَافِقِ ٨ مِنْ أُغُسْطُس ٢٠٠٦م

هَانِي سعد غُنَيم

مِصْرَ - الدَّقَهْلِيَّة - بلقَاس - شَارِع سَاحِل طعيمَة

هَاتِف مَنزِل/ ٢٧٨٦٣٩٧ - ٠٥٠ المحمُول/ ٠١٢١٤٧٥٩٧٣

الفهرس

كُتُبٌ أُخْرَى صَدَرَتْ - بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ - لِلْمُؤَلِّفِ

فِي المَجَالِ اللُّغَوِيِّ:

فِي المَجَالِ الإِسْلَامِيِّ

سَيَصْدُرُ قَرِيبًا لِلْمُؤَلِّفِ -إِنْ شَاءَ اللهُ- كِتَابُ:

(أَسْرَارٌ لُغَوِيَّةٌ وَدَلَالَاتٌ لَفْظِيَّةٌ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ)

كِتَابٌ يَتَحَدَّثُ عَنِ الإِعْجَازِ اللُّغَوِيِّ فِي القُرْآنِ، وَيَكْشِفُ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ لُغَةِ القُرْآنِ بِالأَدِلَّةِ.

وَنَقْرَأُ فِيهِ المَبَاحِثَ الآتِيَةَ:

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ؟!

أَسْمَاءُ القُرْآنِ.

مُدَاوَمَةُ تِلَاوَةِ القُرْآنِ مِنْ عَلَامَاتِ الإِيمَانِ.

الْتِزَامُ الأُسْلُوبِ الرَّاقِي فِي القُرْآنِ.

كَلِمَاتٌ لَزِمَتْ حَالَةً وَاحِدَةً فِي القُرْآنِ.

مَا نَظُنُّ أَنَّهُ مُتَرَادِفُ المَعْنَى، وَلَيْسَ مِنَ المُتَرَادِفِ.

مَوَاضِعُ الآيَاتِ المُتَشَابِهَاتِ فِي القُرْآنِ وَسَبَبُ ذَلِكَ..

هَكَذَا قَالَ اللهُ فِي القُرْآنِ .. فَلِمَاذَا؟!

فِي رِحَابِ القُرْآنِ (مَعْلُومَاتٌ مُهِمَّةٌ).

وَمَبَاحِثُ أُخْرَى مُفِيدَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ.